روايات عالمية للجيب

٤

Looloo

www.helmelarab.net

حرب النجوم

تأليف : جورج لوكاس
ترجمة : إيناس النجار
إعداد : د. نبيل فاروق

لم يكد الأمر يستتبّ لـ (بالبتين) ، حتى أعلن نفسه إمبراطورًا ، وانقضّ على فرسان (الجيدى) ، حماة العدالة بالمجرّة ، وقضى عليهم ، وفرض ديكتاتوريته وسطوته على المجرّة كلها ..

وكما يحدث أيضًا ، فى مثل هذه الظروف ، برزت جماعة صغيرة ثائرة ، متمرّدة ، وقرّرت خوض أعنف وأعظم المعارك ؛ لإعادة الحرية والعدالة ..

ومن هنا تبدأ قصتنا ..

* * *

١ ـ المهمة ..

توهّج كوكب (تاتوين) ، وسط نظامه الشمسى المزدوج ، حتى لقد بدا أشبه بشمس ثالثة ، وهو يدور حول شمسيه (ج ١) ، (ج ٢) ، على نحو منتظم ، جعل مناخه شديد الحرارة ، وأرضه كلها تقريبًا من الصحارى ذات الرمال الذهبية ..

وفى مدار (تاتوين) ، كانت مركبة فضائية من مراكب الثوّار تراوغ فى يأس ، الأشعة المدمّرة ، التى تُطلقها عليها سفينة فضائية حربية ، من سفن الإمبراطور (بالبتين) ، إلا أن مراوغتها لم تفلح طويلًا ، إذ لحقت بها السفينة الإمبراطورية ، وأصابتها عدة إصابات متفرّقة ، ثم لم تلبث أن التحمت بها ، واستعدّت لغزوها ..

ومع الاهتزازات الناجمة عن الانفجارات المتوالية ، راح الآليان (أرتوديتو) و (سى تريبيو) يتمايلان ، وقد بدا التباين بينهما شديد الوضوح ، فى قامة (سى تريبيو) الطويلة ، وتركيبه الشبيه بالبشر ، وقصر (أرتوديتو) الشديد ، وشكله الأشبه ببرميل ذى ثلاثة أرجل ..

ثم إن (تريبيو) كان يمتلك مزية إضافية ، ألا وهى قدرته على التحدث كالبشر ..

وفى داخل مركبة الثوار ، تطلع (ديتو) بعينه الواحدة إلى (تريبيو) ، وهو يهتز فى شدة ، ويتخبط فى جدران الردهة الطويلة ، التى تضمها ، فأدار (تريبيو) رأسه إليه ، وقال :

ـ أسمعت ؟.. إنهم يغلقون الممر ، والمفاعل الرئيسى .. هذا جنون .. إنهم سيدمروننا حتمًا هذه المرة .

لم يعلق (ديتو) على هذا ، وإنما انشغل بالتطلع إلى فتحة أعلى الحائط ، وأطلق صفيرًا منغومًا ، أدركت آلات (تريبيو) معناه على الفور ، وأجاب هذا الأخير:

ـ ماذا يمكننا أن نفعل الآن ؟.. لقد أغلقوا الممر .. لا يمكننى أن أصدق أننا نستسلم .

لم يكد يتم عبارته ، حتى اندفع عدد من الجنود المسلحين عبر الردهة ، والإرهاق يعلو وجوههم ، وسرعان ما اختفوا فى نهايته ، فأضاف (تريبيو) :

ـ لن ينجح قائدنا فى الفرار هذه المرة .. يبدو أننا سنضطر إلى ...

وقبل أن يتم جملته ، توهج الممر بخيوط أشعة الليزر القاتلة ،

وبرز جنود الإمبراطورية ، وهم يطاردون الثوار ، ويقتلونهم بلا رحمة أو شفقة ، واختلط الدخان بصراخ الجرحى ، وأنين المصابين ، ورنين قطع المعادن المتطايرة ..

ثم دوى الانفجار ..

انفجار رهيب ، أطاح بـ (تريبيو) و (آرتو) ، وارتطم كلاهما بالجدران فى عنف ، ولكن دروع (آرتو) القوية حفظته سليمًا ، فى حين شعر (تريبيو) بتشوش فى أجهزته ، جعله يهتف فى غضب :

ـ أنت الملوم يا (آرتو) .. ما كان لى أن استمع إلى رأيك .. كان ينبغى أن نبقى فى أماكننا ، وألا نأتى إلى هذه الردهة .. كان هذا قمة الغباء من برنامجك العتيق .

لم يبال (آرتو) بحديث زميله الآلى ، ولا حتى بخيوط أشعة الليزر ، التى تشق الهواء فوق رأسه ، وإنما أطلق أزيزه المنغوم ، الذى جعل (تريبيو) يهتف :

ـ هكذا ؟!

وهنا دوى الانفجار الثانى ، الذى اهتزت له جدران الردهة ، وانتشرت فى المكان رائحة كربونية كريهة ، اقترنت بظهور عملاق ضخم مخيف ، يناهز طوله المترين ، يرفل فى

عباءة سوداء ، ويخفى وجهه بقناع رهيب من المعدن الأسود ، وبدا — وهو يعبر الردهة — وكأنما تهتز له الأرض فى رهبة ، وتنشر خطواته الخوف فى كل مكان ، وتحيط به هالة من الشر ، أصابت رجاله قبل الثوّار بالرعب ، فراح الأولون يتراجعون فى هيبة ، فى حين انهار الآخرون تمامًا ، وقد أدركوا أنه بالرغم من قتامة ذلك الزى الأسود ، إلا أنه يقلّ كثيرًا عن سواد الأفكار ، التى تملأ رأس هذا العملاق (دون قادر) ، الذى عبر على قيد خطوة من (تريبيو) ، ثم اختفى فى نهاية الردهة ، فنهض (تريبيو) ، وتلفّت حوله ، هامسًا :

— (آرتو) .. أين أنت ؟

لم تكن سحب الدخان قد انقشعت بعد ، إلا أن (تريبيو) لمح شبح زميله الآلى ، وقد بدا وكأن فتاة جميلة رشيقة تنحنى نحوه ، وتحرّك يدها على صدره ، وحاول (تريبيو) أن يتبيّن ملامح الفتاة ، التى تربّت على (آرتو) ، إلا أن الغيوم لم تلبث أن تكاثفت مرة أخرى ، فأسرع (تريبيو) نحو صاحبه ، وهمّ بسؤاله عمّن معه ، إلا أنه وجده وحده ، فتساءل فى أعماقه عمّا إذا كان قد رأى هذه الفتاة حقًّا ؟ أم أن الأمر لا يعدو كونه مجرّد هلوسة .؟

هلوسة إليكترونية ..

وراجعت أجهزة (تريبيو) الموقف كله ، وتوصّلت إلى أنها بالفعل مجرّد هلوسة ، نشأت من اضطراب شبكاته الداخلية ، من أثر الارتطام ، فقال بصوت مرتفع ، وكأنما يحاول تبديد توتره ..:

— أين كنت يا (آرتو) ؟

ودون أن ينتظر جوابًا ، أو يشير إلى هلوسته الإليكترونية ، تابع :

— إنهم سيعودون حتمًا مرة أخرى ، ولن يصدّقوا أننا مجرّد آلات ، لا تملك أية معلومات قيّمة ، وسيفكّون أجزاءنا قطعة قطعة ؛ لاستعمالها كقطع غيار لأشخاصهم الآلية ، ومن الأسوإ أن يتصوّروا أننا مبرمجين لقتالهم ، فيدمرونا تدميرًا ، إلا إذا ..

أدهشه أن تجاهله (آرتو) تمامًا ، واتجه نحو نهاية الردهة ، فهتف :

— انتظر .. إلى أين تذهب ؟.. ألم تكن تسمعنى ؟

أتبعَ هذا القول بسيل من الشتائم والسباب ، بكل لغات الأرض ، ثم انطلق يجرى خلف صديقه ..

فى نفس اللحظة ، كان جنود الإمبراطورية قد جمعوا أسراهم من الثوّار ، خارج مركز التحكّم ، وساد بين الجميع صمت رهيب ، وانهار بعض الثوّار ، الذين حافظوا على تماسكهم حتى هذه اللحظة ، عندما ظهر العملاق الأسود (دون قادر) ، الذى اتجه مباشرة نحو أكبر الأسرى رتبة ، وأطبق بيده الضخمة على عنقه ، ورفعه عن الأرض ، فاحتقن وجه الضابط ، وجحظت عيناه ، إلا أنه لم ينبس ببنت شفة ، فى حين برز أحد جنود الإمبراطورية من مركز التحكّم ، وقال :

ـــ فحصنا كل المعلومات ، وتم مسح جميع برامج الكمبيوتر ياسيِّدى ، ولكننا لم نعثر على شىء .

وهنا اشتدّت قبضة (دون قادر) على عنق الضابط ، وهو يقول فى صرامة وبرود :

ـــ أين البيانات ، التى حصلتم عليها ؟

تلوّى الضابط من الألم ، وهو معلّق من عنقه فى الهواء ، وقال فى صوت مختنق متحشرج :

ـــ لم نحصل على أية معلومات أو بيانات .. هذه المركبة فى مهمة ديبلوماسية فقط .

ضغط (قادر) على عنق الضابط أكثر ، وهو يقول :

ـــ أين الشرائط ؟.. هذه المركبة تحمل شعار منطقة (ألدران) ، فهل تقلّون أحد أفراد العائلة الملكية ؟

ألقى سؤاله وهو يضغط ويضغط ، وعينا الضابط تجحظان أكثر وأكثر ..

ثم سمع الجميع صوت تهشّم عظام رقبة الضابط ، الذى سلبت الأصابع المعدنية روحه ، قبل أن يلقيه (قادر) بعيدًا فى ازدراء ، فيرتطم بالحائط ، ويسقط جثة هامدة .

وفى برود تام ، وبلا أدنى ذرّة من الرحمة أو الشفقة ، تجاهل (قادر) الضابط الصريع ، وألقى أوامره بتفتيش السفينة ، وقلبها رأسًا على عقب ، بحثًا عن هذه الشرائط ، التى يسعى خلفها ، ثم ختم حديثه بقوله :

ـــ أما بالنسبة للركاب ، فأريدهم على قيد الحياة .

وأسرع ضباطه ينفذون أوامره وهم يرتجفون ، وكأنما يسعدهم مجرّد ابتعادهم عنه ، فى نفس الوقت الذى كان فيه (آرتو) و (تريبيو) قد بلغا ممرًا خاليًا من الدخان ، وقال الأخير :

ـــ هأنذا أعدو خلفك ، طوال نصف الساعة السابقة ، والآن ماذا علينا أن نفعل ؟

لم يجب (آرتو) ، وإنما امتدّ من داخله مخلب صغير ، راح يفتح باب أحد قوارب الإنقاذ ، المخصّصة للبشر ، ولم يكد يفتح الباب ، حتى انطلق فى الممر أزيز خافت ، فتلفّت (تريبيو) حوله فى قلق ، وهو يقول :

ــ ماذا تفعل يا (آرتو) ؟ .. أنت تعلم أن هذا يخالف القانون ، فهذا الزورق مخصّص للبشر ، ولا يحق للآليين ركوبه أو تشغيله .

ولكن (آرتو) كان قد أدار المحرّك بالفعل ، وهو يُطلق صفيره الخاص ، الذى جعل (تريبيو) يقول فى قلق :

ــ مهمة ؟!.. أية مهمة ؟.. عمّ تتحدّث ؟!.. يبدو أنك قد فقدت كل دوائر المنطق داخلك .. لا .. لن أصحبك فى مغامرات أخرى .. سأبقى هنا ، وأجرّب حظى مع الإمبراطوريين .

أطلق (آرتو) صفيرًا عاليًا غاضبًا ، فقال (تريبيو) :

ــ لا .. لم أفقد عقلى .. أنت الذى يبدو كبرميل زيتٍ بلا عقل ، و ..

دوّت فجأة سلسلة من الانفجارات ، بترت حديث (تريبيو) ، وأطاحت بالجدار الخلفى للممر ، وملأت المكان

بالغبار والحطام وألسنة اللهب ، فقفز (تريبيو) داخل قارب النجاة ، وهو يهتف :

ــ أعلم أننى سأندم على هذا أشدّ الندم .

وفى هدوء ، أغلق (آرتو) أبواب القارب ، وانطلق به فى الفضاء ؛ لتنفيذ المهمة التى أسندت إليه ..

المهمة الغامضة ..

* * *

انتشر جنود الإمبراطورية فى سفينة الثوّار ، يفتشون كل ركن فيها ، تنفيذًا لأوامر (دون فادر) ، ولمح أحدهم جسمًا يتحرّك ، داخل تجويف صغير ، فى ركن أحد الممرات ، فاستلّ سلاحه فى سرعة ، واقترب من التجويف فى حذر ، ثم لم يلبث أن رفع حاجبيه فى دهشة ..

كانت هناك فتاة بارعة الحسن ، منكمشة داخل التجويف ، وهى ترتجف فى ثوبها الأبيض الفضفاض ..

وبرقت عينا الجندى ، وتألّقتا فى ظفر ..

لقد عثر على كشف خطير ، وسينال عنه ــ ولا شك ــ مكافأة كبيرة من (دون فادر) ..

وبسرعة انتزع الجندى جهاز اللاسلكى الخاص به ، وهمّ

كانت هناك فتاة بارعة الحسن ، منكمشة داخل التجويف ، وهى ترتجف فى ثوبها الأبيض الفضفاض ..

بإرسال رسالة بما حدث ، إلى رئيسه العملاق الأسود ، إلا أنه لم يكد يحوّل وجهه عن الفتاة ، حتى وثبت من مكمنها ، واستلّت مسدسًا ليزريًا من ثوبها ، أطلقته عليه بلا تردّد ، ثم تحوّلت إلى الجنود الذين برزوا فى اللحظة نفسها ، من نهاية الردهة ..

وأطلقت الفتاة أشعتها ، ولكن الجنود تكاثروا عليها ، وأمسكوا بها ، وأسرعوا لتقديمها إلى (دون فادر) ..

وأعلنت أجهزة الاتصال تمام القضاء على الثوّار ، فتنفّس قائد الجنود الصعداء ، إلا أن أحد جنوده أشار إلى نقطة صغيرة مضيئة ، تبدو على شاشة راصد الفضاء الخارجى ، وهو يقول :

ـ يبدو أن أحدهم قد نجا ، فهناك أحد قوارب النجاة يسبح مبتعدًا .

تطلّع القائد إلى القراءات المرتسمة على الشاشة ، ثم قال فى هدوء :

ـ لا وجود لحياة على ظهر هذا القارب .. ربّما انطلق بسبب عطب داخلى ، أو أوامر إليكترونية خاطئة .

سأله الجندى :

— هل نطلق عليه النار ؟

هزَّ القائد رأسه نفيا ، وابتسم فى ثقة ، وهو يقول :

— لا داعى .. المؤشرات تقول إنه زورق فارغ .. فلندخر قذائفنا .

لم يكن يدرك لحظتها أن ثمن هذا التجاهل سيكون غاليًا .. غاليًا جدًا ..

* * *

٢ — الأميرة ..

من الأقوال المأثورة على كوكب (تاتوين) ، أنه من الممكن أن تحترق عيناك ، لو تطلّعت طويلًا إلى الوديان والسهول ، بأكثر مما تحترق ، لو تطلّعت إلى شمس (تاتوين) مباشرة ..

هذا لأن انعكاس الضوء على الرمال الساخنة يصنع وهجًا شديدًا ، يُلهب الأعين ..

وعلى الرغم من هذا ، لم يكن الكوكب مقفرًا ، وإنما نجحت الأمطار الصناعية فى بث الحياة فى هذه الصحراء ..

وهناك ، فى وسط هذه الصحراء ، كان يقف (لوك سكاى واكر) ، منهمكًا فى إصلاح جهاز البخر الآلى دون جدوى ، والعرق يتصبَّب منه فى غزارة ، ويسيل بين خصلات شعره الأشعث ، ليختلط بالرمال والرياح ، التى تملأ ملابسه الفضفاضة ..

ومسح (لوك) عرقه ، ورفع عينيه يبحث عبثًا عن سحابة واحدة ، فى كبد السماء ، إلا أن عينيه التقطتا بريقًا واضحًا ،

فأسرع يضع منظاره المقرِّب على عينيه ، وتطلَّع به لحظات إلى النقطة ، التى رأى عندها البريق ، ثم قفز إلى سيارته الطائرة ، وانطلق بها نحو مدينة (أنكورهيد) ، التى تتكوَّن من حيَّين .. (تاتو ــ ١) و (تاتو ــ ٢) ، ويقطنها عدد من المزارعين ، فى منشآت معدنية أو حجرية ، وعندما بلغها كانت طرقها غير الممهَّدة خالية من المارة ، يحتلها الذباب بأزيزه السخيف ، فتوقَّف (لوك) عند محطة إصلاح أجهزة ، يعمل بها شخص آلى قديم ، واثنان من البشر ، وملحق بها مطعم بسيط ، ومتجر لألعاب الكمبيوتر ، واندفع (لوك) نحو ثلاثة شبان ، يرتدون زيًّا مشابهًا لزيه ، وينهمكون فى واحدة من ألعاب الكمبيوتر ، إلى الحد الذى منعهم من سماع صيحات (لوك) ، فى حين انتبه إليها شخص آخر أكبر سنًّا ، يرتدى زيًّا رسميًّا ، فابتسم وهو يتطلَّع إلى (لوك) ، قائلًا :

ــ أهلًا (لوك) .

هتف (لوك) فى حرارة :

ــ (بيجز) !!

واندفع يعانق الرجل فى فرح ، قبل أن يستطرد :

ــ متى عدت ؟.. لقد فاجأتنى رؤيتك .

أجابه (بيجز) :

ــ عدت منذ فترة بسيطة ، وتصوَّرت أننى سأفاجئك هنا .

قالها وأطلق ضحكة عالية ، فى حين تطلَّع إليه (لوك) فى انبهار ، وهو يسأله :

من الواضح أن الأكاديمية الفضائية تناسبك يا (بيجز) .. أخبرنى .. هل تخرَّجت ؟

أومأ (بيجز) برأسه إيجابًا ، وملأت ابتسامته وجهه ، وهو يجيب :

ــ نعم .. لقد تخرَّجت ، وعيِّنت ملَّاحًا على مركبة فضائية كما ترى .

قالها وأشار إلى ردائه الرسمى ، الذى طالما فتن (لوك) ، قبل أن يستطرد :

ــ لقد حضرت فقط لتوديع السذج من أمثالك ، الذين يرتبطون بزراعة الأرض فقط .

شعر (لوك) ببعض الضيق فى أعماقه ، إلا أنه لم يلبث أن قال فى حماس :

ــ كدت أنسى ما أتيت من أجله .. اسمع .. هناك معركة

تدور فى فضاء كوكبنا .. لقد رأيت السفن الفضائية المتصارعة ، وهى تلمع تحت الشمس .

أجابه أحد عاملى المحطة البشريين :

— لا ريب أنها واحدة من هلوساتك القديمة .

أصرّ (لوك) على اصطحابهم جميعًا إلى الخارج ، والتطلّع عبر منظاره المقرّب ، فقال (بيجز) ، وهو ينظر عبر المنظار :

— يلوح لى أنهما سفينتان فضائيتان ، تقوم إحداهما بتموين الأخرى .

قال (لوك) فى حماس :

— كلّا .. لقد رأيت انفجارات من قبل .. إنها معركة ولاشك .

هزّ عامل المحطة كتفيه ، وقال :

— أظنك واهم يا (لوك) ، فالثوّار بعيدون جدًّا عن هنا ، ولن تدخل الإمبراطورية حربًا ، بلا طائل .

وعاد الجميع إلى المحطة ، وخلفهم (لوك) ، ونظره معلّق بالفضاء ..

كان هناك شىء فى أعماقه يخبره أن قدره معلّق بهذا الذى يراه .

وكان على حق ..

* * *

أحاط جنود الإمبراطورية بالفتاة ، التى وقفت بينهم مرفوعة الهامة ، على الرغم من قيود معصميها ، ومن مظهر (دون فادر) الرهيب ، وقناعه الأسود المخيف ، الذى تتوهّج من خلفه عيناه الحمراوان ، وقالت فى شجاعة :

— سيكون عليك أن تتحمّل تبعة حماقتك وغبائك يا (دون فادر) ؛ فهذه المركبة ديبلوماسية ، ولن يمكنك تبرير فعلتك ، أمام مجلس النبلاء .

قاطعها اللورد الأسود ، وهو يقول فى صرامة :

— لا تمارسى ألاعيبك معى أيتها الأميرة (ليا أورجانا) .. أنت تعلمين أن مركبتكم قد مرّت بمنطقة محرّمة ، متجاهلة أوامرنا بعدم الاقتراب منها ، وأن جواسيسكم قد نقلوا إليها بيانات سرية ، عبر أشعة خاصة ، فلقد ألقينا القبض على هؤلاء الجواسيس ، ولكنهم قتلوا أنفسهم قبل استجوابهم ، وأريد أن أعلم ماذا حدث للمعلومات ؟ وأين هى ؟.

قالت الأميرة فى اعتداد :

— لست أدرى عمّا تتحدّث يا (فادر) ، ولكننى أميرة ملكية ، وعضو بمجلس النبلاء ، وهذه المركبة ديبلوماسية ، و ...

قاطعها فى حدة :

ــ وأنك تعملين لحساب الثوّار ، وهذا يجعلك خائنة .

ثم أشار إلى رجاله فى صرامة ، مستطردًا :

ــ خذوها إلى السجن ، فلابد أن تتحدّث قبل إعدامها .. سأفعل أى شىء ؛ لمعرفة قاعدة الثوار .

قال قائد الجنود فى توتر :

ــ لن تتكلّم (ليا) قط .. أنا أعرفها جيّدًا ، ومن الخطر سجنها هنا ، فستقوم الدنيا ولا تقعد ، لو علم والدها أو مجلس النبلاء بهذا ، وأقترح إعدامها فورًا .

هزّ (دون فادر) رأسه نفيًا فى حزم وعناد ، وقال :

ــ ليس قبل أن تدلى بما لديها .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ــ أعلن أن هذه المركبة قد أصيبت بعطب فنى ، وانفجرت فى الفضاء ، ولقى كل من عليها مصرعه ، ثم انسف المركبة .

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يستطرد :

ــ وابحث مصير قارب النجاة ، الذى انطلق من المركبة ، فقد يكون هذا بسبب عطل فنى ، أو ... أو تخطيط دقيق ..

★ ★ ★

تطلّع (تريبيو) إلى الرمال ، التى تمتدّ من حوله إلى ما لا نهاية ، وقال :

ــ ما هذا المكان ، الذى هبطنا فيه ؟.. لست أرى سوى هضاب وكثبان رملية فى كل مكان .

لم يشعر بالامتنان تجاه (آرتو) ؛ لأنه نجح فى الهبوط بسلام ، بل لم يكن الشك قد فارقه بعد ، فى أنه كان من الأفضل لهما عدم مغادرة مركبة الثوّار ، وخاصة وهو يتطلّع إلى بحر الرمال ، الذى يبذلان جهدًا مضاعفًا ؛ للسير فوقه ، والذى لم يصمّما أبدًا لمثله ، ولقد راح يقول فى غضب :

ــ لقد كُتبتْ علىّ المعاناة ، فلا أستريح أبدًا .. أطرافى تكاد تسقط من أماكنها ، بعد هبوطك الرائع بقارب النجاة .

لم تنطق أجهزة (آرتو) بحرف واحد ، وإنما واصل سيره وسط الرمال ، فأضاف (تريبيو) :

ــ أين تظنك ذاهبًا ؟.. لست أرغب فى السير إلى هذه الناحية ؛ فبها صخور كثيرة ، والناحية الأخرى أسهل .. لماذا تتصوّر أننا سنجد مستوطنات فى هذا الاتجاه ؟

أطلق (آرتو) صفيرًا طويلًا ، واستمرّ فى السير ، فردّ (تريبيو) :

ـ لقد أتعبتنى قراراتك الخاطئة هذه ، التى تُلبسها دائمًا ثوب العلم .

ثم دفع (آرتو) دفعة قوية ، دحرجته فوق الرمال ، واستطرد :

ـ سأذهب إلى الناحية الأخرى ، وإياك أن تتبعنى ، أو تهتف بى لإنقاذك .

نهض (آرتو) ، وأطلق صفيرًا غاضبًا ، ثم استمرّ فى السير ، فى نفس الاتجاه ..

وسار (تريبيو) وحده عدة ساعات ، دون أن يرى أدنى أثر لعشب أو حياة من أى نوع ، حتى توقّف ، والتفت يتطلّع إلى حيث اختفى (آرتو) ، ثم اعترف بينه وبين نفسه ، أنه من المحتمل أن يكون (آرتو) على حق ، وبعدها راح يلعنه فى أعماقه ؛ لأنه لم يحاول إثناءه عن خوض الطريق الخاطئ ..

وسمع (تريبيو) طقطقة فى مفاصله ، فجلس على الرمال ، وراح ينظفها فى هدوء ؛ ليلحق بـ(آرتو) ، و ..

وفجأة لاح له ضوء قادم من بعيد ، فنهض واقفًا ، وراح يلوّح للسيارة القادمة بيديه ، على الرغم من أنها كانت من طراز لم يره فى حياته من قبل ..

ولم يخطر بباله أن تكون هذه السيارة من طراز خاص .. طراز غير بشرى ..

* * *

سأل (بيجز) صاحبه (لوك) ، وهما يسيران فى الظل ، خارج محطة الإصلاح :

ـ إلى متى ستستمر فى اللعب بطائرتك الصغيرة يا (لوك) ؟.. أنا واثق أنك واحد من أفضل من عرفت من طيّارين ، ولكن هذه الطائرة الصغيرة مستهلكة تمامًا ، ومن الخطر قيادتها .

قال (لوك) فى ضيق :

ـ أنت تقول هذا ، لأنك تقود الآن مركبة فضائية آلية ، ولكننى مرتبط هنا بالأرض والزراعة ، وكل الأمور هادئة كما ترى .

وتنهّد فى عمق ، قبل أن يستطرد :

ـ كم أتمنى أن يأتى اليوم ، الذى يمكننى فيه مغادرة هذا المكان ، بصحرائه القاحلة ، ورماله المهلكة ، والالتحاق بالأكاديمية مثلك ، ولكن عمى يطالبنى بإرجاء هذا كل عام ؛ لأنه يحتاج إلى مساعدتى .

قال (بيجز) فى قلق واضح :

ـــ أتعلم يا (لوك) . لم آت إلى هنا لوداعكم فقط ، وإنما هناك أمر يثقل كاهلى ، وأشعر بضرورة البوح به لأحد ، وسأخبرك أنت بالسر ، الذى لا يمكننى البوح به لوالدىَّ ؛ فأنت أعز أصدقائى .

تلفت حوله ، ثم مال نحو (لوك) ، وأضاف فى حزم :

ـــ لقد تعرَّفت بعض مناهضى النظام ، واتفقنا على أنه بمجرَّد قيادتنا للمركبات الفضائية سنفرّ بها ، وننضمّ إلى الثوَّار .

بُهت (لوك) ، وهو يستمع من صديقه الأثير إلى هذا ، وهتف فى صوت خافت :

ـــ هل ستنضمّ إلى الثورة المضادة ؟!.. ولكن كيف ؟

تلفّت (بيجز) حوله مرة أخرى فى توتر ، وقال :

ـــ اخفض من صوتك يا صديقى ، حتى لا يسمعنا أحد .. لقد تعرَّفت صديقًا فى (الأكاديمية) ، يمكنه الاتصال بالثوَّار .

قال (لوك) :

ـــ لقد جننت ولاشك .. أماكن الثوَّار سرية للغاية ، لا يعرفها أحد .. تمامًا مثل الأساطير ، ويجب أن تحترس من هذا الصديق ، فربما كان جاسوسًا إمبراطوريًا ، يسعى للإيقاع بك .

قال (بيجز) فى حزم :

ـــ لقد حسمت أمرى يا (لوك) .. سأنضمّ للثوّار ، أو أقاتل وحدى .. المهم أن أطمئن إلى أننى فى الجانب الصحيح .. لو أنك سمعت ما سمعته أنا ، عن الفساد والعفن فى أعماق جمهورية ، كانت سيِّدة المجرَّة يومًا ، فلن يمكنك أن تبقى ساكنًا .

تطلَّع إليه (لوك) لحظات ، ثم قال :

ـــ أشعر أننى مقيَّد هنا يا (بيجز) .. عمى يحتاج إلى مساعدتى ، ليس فى الزراعة فقط ، ولكن لحمايته من غارات سكان الرمال المتوحشين ، الذين يهاجمونه دائمًا للسرقة والنهب .. لقد وعدنى أنه سيسمح لى بالذهاب إلى الأكاديمية ، فى الموسم بعد القادم .

هزَّ (بيجز) رأسه ، وقال :

ـــ وما جدوى الزراعة والعمل ، لو أن الإمبراطورية تنوى مصادرة الأرض ، ونهب إنتاجها ، وجعلك مجرَّد أجير فيها ؟.. لا يا (لوك) .. ينبغى أن تفرِّق بين الأهم والمهم .

قال (لوك) فى لهجة ، لم تنجح حتى فى إقناعه هو :

ـــ لا أعتقد أنهم سيفعلون هذا ، فقد سبق أن أخبرتك أنهم لن يهتمّوا أبدًا بكوكب صحراوى مثل (أنكورهيد) .

أجابه (بيجز) :

ـ لا يوجد أمر يبقى على حاله إلى الأبد يا (لوك) ، ووجود الثوّار وحده ، هو الذى يحدّ من مطامع الإمبراطورية .

تمتم (لوك) فى مرارة :

ـ كم أتمنى أن أصحبك .. قل لى : هل ستبقى طويلًا ؟

هزّ (بيجز) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا .. سأرحل غدًا ، ولكن من يدرى يا (لوك) ؟.. ربّما نلتقى قريبًا .

قال (لوك) فى حماس :

ـ سألتحق بالأكاديمية فى الفصل القادم بإذن الله .

تصافحا فى حرارة ، ثم افترقا ..

ولكن القدر كان يدخر لهما لقاء قريبًا ..

قريبًا جدًّا ..

* * *

من أغرب الظواهر فى كوكب (تاتوين) ، ظاهرة الضباب العجيب ، التى عجز الجيولوجيون ـ حتى الآن ـ عن تفسيرها ، حيث يرتفع من الأرض ضباب كثيف ، فى مناطق التقاء الرمال بالهضاب الصخرية ، عندما تغرب شمسا (تاتوين) ، ثم ينقشع الضباب مع شروق الشمسين ..

ولكن هذا الضباب ، أيًّا ما كانت أسبابه ، لم يؤثر فى (آرتو) ، وهو يتسلّق صخور الهضبة ؛ ليبلغ سطحها ، إلا أنه لم يلبث أن توقّف ، عندما انطلق فى وجهه بغتة ضوء مبهر ، أربك آلاته ، وجعله يسقط متدحرجًا على الصخور ، حيث هاجمه ثلاثة لهم هيئة البشر ، ولا يزيد طول الواحد منهم على طوله هو ، فى حركاته أشبه بحركات القوارض ، منها بحركات البشر ، وعندما وجدوه ساكنًا ، أحاطوا به فى حذر ، بعباءاتهم الطويلة ، وعيونهم الصفراء المحمّرة ، ولغتهم الأشبه بحشرجة عجيبة مخيفة ..

واسترجعت آلات (آرتو) أقوال علماء الأجناس ، عن هؤلاء ..

لقد كانوا يومًا من البشر ، ثم لم يعودوا كذلك ..

وبسرعة ، التفّ عدد كبير من أشباه البشر هؤلاء ، حول (آرتو) ، وتعاونوا على حمله ، ونقله إلى زحّافة كبيرة ، ترتفع عن الأرض بارتفاع قامة واحد منهم ، وقد تهشّمت أطرافها ، وبليت ، من شدة قدمها ، وكثرة ما عانته ، وقام أحدهم بوضع فوهة أنبوب ضخم عند جسد (آرتو) ، الذى امتصته قوة هائلة داخل الأنبوب ، كما لو كان حبة بازلاء صغيرة ، إلى داخل

الزحافة ، حيث وجد (آرتو) نفسه وسط دستة من الآليين ، من ذوى الأشكال والأحجام المختلفة ، وكلهم أسرى فى قلب الزحافة ، التى امتطاها أشباه البشر ، وانطلقوا بها مبتعدين ..

وفجأة سمع (آرتو) صوتا محببا إلى آلاته ، يقول :

ــ (ارتوديتو) .. أهو أنت ؟.. نعم .. هو أنت بالتأكيد .

وتعانق (آرتو) مع (تربيو) ، وتناهت إلى مسامعهما أصوات محركات الزحافة ، وهى تنطلق فى بحر الرمال ..

وشعرت الآلتان بالخطر ..

الخطر البالغ .

* * *

٣ ــ الجبابرة ..

التفّ أعضاء المجلس الإمبراطورى الثمانية ، حول مائدة الاجتماعات اللامعة ، ووقف الحرّاس الضخام على باب الحجرة الفسيحة ، التى تسبح فى أضواء خافتة ، تنبعث من مائدة الاجتماعات نفسها ، ومن الجدران المحيطة بها ، فى حين جلس الجنرال (تاج) على رأس المائدة ..

كان أكبر المجموعة عمرًا ، وأكثرها نفوذًا وثروة ، وكان يبدو ــ كعادته ــ رشيقًا ، أنيقًا ، ناعمًا ، كثعبان أرقط سام ، ولقد بدأ هو الحديث بقوله :

ــ لن يهدأ لى بال ، حتى نقضى على هؤلاء الثوّار قضاءً مبرمًا ، فوجودهم يحنق سمو الإمبراطور غاية الحنق ، خاصة وهم يمتلكون الآن جيشًا صغيرًا ، من المعدّات الحربية ومركبات الفضاء ، والملّاحين المدرّبين ، مما يجعلهم بمثابة طعنة ، فى قلب الإمبراطورية .

نهض رجل ، يحمل وجهه أثر جرح عميق ، لم تنجح جراحات التجميل فى إخفائه ، وقال :

— ربّما كانوا يشكّلون خطورة على أسطولك الفضائى يا جنرال (تاج) ، ولكن ليس على هذه المحطة الحربية ، وعلى أية حال ، فأنا واثق من أن (دون قادر) يدرك ما يواجهه ، والوسيلة الوحيدة لإيقاف هذا التمرّد ، هى القضاء على الثوّار فى معاقلهم ، حيث يدرّبون طياريهم ، ويصلحون معدّاتهم .

قال (تاج) :

— إننى اختلف معك فى هذا ، فأنا أعتقد أن السبب الرئيسى لبناء هذه المحطة ، هو فرض نفوذ الإمبراطور وسيطرته و ...

قاطعه فجأة صوت الباب يُفتح ، والحرّاس يقفون فى انتباه ، فالتفت مع الباقين إلى الباب ، ورأوا الحاكم (تاركن) ، بوجهه الشبيه بالصقر ، وبصحبته (دون قادر) ، يدلفان إلى المكان ، ثم يتجه (تاركن) إلى رأس المائدة ، ويقف إلى جواره (قادر) ، ويقول الأخير فى صوته البارد المخيف :

— لم يعد لوجودكم ضرورة أيها السادة .. لقد أصدر الإمبراطور أوامره ، بحل مجلس النبلاء ، وبهذا ينتهى آخر أثر للجمهورية القديمة .

هوى القول كالصفعة ، على وجوه النبلاء الثمانية ، وارتسم على وجوههم مزيج عجيب من الدهشة والاستنكار والصدمة ، قبل أن يهتف (تاج) :

— كيف يمكن للإمبراطور أن ...

قاطعه (قادر) فى صرامة :

— إنه إجراء مؤقّت ، بسبب الظروف الطارئة ، التى تمرّ بها الإمبراطورية ، ولقد انتقلت سلطاتكم إلى حكّام المقاطعات ، وسيعاونهم الأسطول الإمبراطورى فى فرض نفوذهم ، على المقاطعات البعيدة .

قال (تاج) معترضًا :

— وماذا عن الثوّار ؟

أجابه الحاكم (تاركن) :

— حتى ولو جمعوا كل المعلومات عن هذه المحطة ، وتصميماتها الفنية ، فلن يجدوا فيها نقطة ضعف واحدة ، يمكنهم استغلالها ، هذا مع استحالة حصولهم على مثل هذه البيانات ، مما يجعل أى هجوم منهم على هذه المحطة ، أشبه بالانتحار ، فلقد أصبحت هذه المحطة رمزًا للقوة فى المجرّة كلها .

هوى (قادر) بقبضته الحديدية على المائدة ، وهو يقول :

— لا تتباهى كثيرًا بهذا الرعب التكنولوجى ، فما زالت هناك قوة ، لن ينجح شخص واحد فى التغلّب عليها .. قوة الطبيعة .

قال (تاج) فى حدة :

— لا تحاول إرهابنا بذلك السحر الأسود ، الذى مازلت تعتنقه ، والذى لم ينجح بعد فى استرجاعك للشريط الضائع ، أو كشفك معقل الثوّار .

التفت إليه (ڤادر) فى حركة سريعة عنيفة ، وانقضّت يده الحديدية على عنق (تاج) ، وأطبقت عليه فى قوة ، حتى استحال وجه (تاج) إلى لون أزرق، ، و (ڤادر) يقول فى صرامة :

— يبدو أن ثقتك بى قد اهتزّت كثيرًا يا عزيزى (تاج) .. أليس كذلك ؟..

— أليس كذلك يا (تاج) ؟

نهض (تاركن) من مقعده فى توتر ، وقال :

— اتركه يا (ڤادر) .. لا ينبغى أن نختلف فيما بيننا .

ألقى عليه (ڤادر) نظرة باردة ، ثم ألقى (تاج) على كرسيه ، فسقط عليه هذا الأخير يلهث ، ويمسك عنقه فى ألم ،

فى حين أكمل (تاركن) ، موجّهًا حديثه إلى باقى النبلاء ، ومحاولًا تهدئة الموقف .

— لقد وعد (دون ڤادر) بإخبارنا عن موقع الثوّار ، بعد تدشين هذه الخطة ، لنعمل جميعًا على سحقهم .

والتقط نفسًا عميقًا ، ثم استطرد :

— سنسحقهم عن آخرهم ..

* * *

كان المكان داخل زحّافة الرمال قذرًا ، تفوح فيه رائحة زيوت التشحيم المحترقة ، بالإضافة إلى ضيقه البالغ ، الذى أجبر (تريبيو) على الوقوف منتصبًا ، خشية الاصطدام بالحائط ، أو بالأشخاص الآليين الآخرين ، فى حين أغلق (آرتو) كل أجهزة الاتصال لديه ، حتى لا يسمع شكوى (تريبيو) المستمرّة ، وليريح نفسه من إجابته ، واكتفى بالوقوف صامتًا ، دون أدنى حركة ، وسط قطع الخردة ، بعد أن عرف من زملائه الآليين طبيعة سجانيه ، الذين يُطلق عليهم اسم (الجاوا) ، ويقطنون ذلك المكان النائى فى عزلة تامة ، داخل عباءاتهم الثقيلة ، وخلف أقنعة الرمال القبيحة ، ويعيشون على سرقة الآلات ، ومحاولة إصلاح التالف منها وبيعها ..

وتوقَّفت المركبة فجأة ، فأعاد (آرتو) تشغيل أجهزته ، ورأى (الجاوا) يفتحون المركبة ، وبأيديهم أسلحتهم ، ثم يدفعون الآليين خارجًا ، فى صف طويل ، ووجد (تريبيو) نفسه يقف وسط الرمال ، فى ضوء النهار المبهر ، أمام عدة قباب ذات مداخن بدائية ، توحى بوجود من يقطنها من البشر ، فراوده الأمل فى أن يعود إلى خدمة بشر ، بدلًا من أن يصهره (الجاوا) ..

ثم أطلق (آرتو) صفيرًا ، وهو يشير إلى اثنين من البشر ، غادرا القباب ..

كان أحدهما هو (أوين لارس) بقامته الممشوقة ، وبشرته التى لوَّحتها الشمس ، فى حين كان الآخر هو (لوك) ، الذى بدا ــ بالرغم من سنوات عمره العشرين ــ منحنيًا ، مكتئب الوجه ، مشغول الذهن بذلك الحديث ، الذى دار بينه وبين (بيجز) ، فى حين راح (أوين) يتحدَّث مع (الجاوا) بلغة غريبة ، ثم راح يستعرض الأشخاص الآليين ، حتى انتقى واحدًا صغير الحجم ، فى مثل قامة (آرتو) ، ولكنه مخصَّص للعمل فى المزارع ، فدفع (الجاوا) ذلك الشخص الآلى خارج الصف ، فى حين واصل (أوين) استعراضه للآليين ، حتى

توقَّف أمام (تريبيو) ، وتأمَّل قامته الطويلة ، ولونه البرونزى ، ثم سأله :

ــ ما تخصّصك ؟

أجابه (تريبيو) بصوته المعدنى الرقيق :

ــ إننى متخصّص فى (البروتوكول) ، وآداب اللياقة والتعامل .

لوَّح (أوين) بكفه ، وقال :

ــ ومن يرغب فى آلى يجيد (البروتوكول) ؟

قال (تريبيو) فى هدوء :

ــ أنت على حق يا سيِّدى .. فى بلد له مثل هذا المناخ ، لا توجد أدنى حاجة إلى (البروتوكول) أو اللياقة ، ولكن هذا ليس تخصّصى الوحيد ، فبرنامجى يحوى أكثر من ثلاثين وظيفة ، تتطلَّب فقط ...

قاطعه (أوين) فى ضجر :

ــ أريد آليًا يعرف اللغة المشتركة للآليين ، المختصين بأجهزة التبخير .

قال (تريبيو) :

ــ هذه إحدى وظائفى يا سيِّدى .

هزّ (أوين) رأسه فى ارتياح ، والتفت إلى (لوك) ، قائلًا :

— خذ هذا الآلى مع الآخر إلى المخزن ، واعمل على تنظيفهما ، قبل حلول المساء .

سار (تريبيو) والآلى الآخر خلف (لوك) ، فى حين انهمك (أوين) فى مساومة أحد (الجاوا) على سعرهما ، وراح باقى (الجاوا) يعيدون الآليين إلى الزحّافة ..

وفجأة ارتفع صفير كالأنين ، والتفت (لوك) خلفه ، فرأى (أرتو) يغادر الصف ، ويسير خلفه ، و (الجاوا) يمنعونه بالقوة ، ثم ارتفع صوت أشبه بفرقعة عنيفة ، وانفجر رأس الشخص الآلى الزراعى ، الذى كان يصحب (تريبيو) ، وراحت أجزاؤه تتناثر فى الهواء ، وتسقط على الرمال ، فصاح (لوك) :

— لقد انفجر الآلى الزراعى يا عمّاه .

التفت (أوين) إلى (الجاوا) ، وهتف فى غضب :

— ما هذه الخردة ، التى تبيعوننى إياها ؟

تعالى صياحه وصياح (الجاوا) ، فى نقاش حاد ، فى حين عاد (أرتو) يطلق صفيره الشبيه بالأنين ، فانحنى (تريبيو) على أذن (لوك) ، وقال :

— لو أردت رأيى يا سيّدى ، فـ (آرتو) هذا آلى ممتاز ، ولا ينبغى أن تفوتك فرصة اقتنائه ، وهم يجهلون إمكاناته الحقيقية ، ولو أنك فقط أزلت هذا الغبار ، الذى يغطى جسده ، لبدت لك روعته .

لم يحتج (لوك) لأكثر من هذا ، كى يتخذ قراره ، فقال لعمه :

— لا تجادلهم كثيرًا يا عمّاه .. يمكننا أن نستبدل هذا بالآلى المحطّم .

قالها وهو يشير إلى (آرتو) ، فأسرع (الجاوا) يوافقون ، تجنبًا لغضب (أوين) وعداوته ، ثم لم يلبث الأمر أن انتهى ، فنقدهم (أوين) الثمن ، وعاد مع (لوك) و (آرتو) و (تريبيو) إلى مسكنه ..

وفى حذر ، انحنى (تريبيو) على (آرتو) ، وقال :

— تذكّر أننى أنا الذى أفسد الآلى الزراعى .. ومن أجلك .

أطلق (آرتو) صفيرًا خافتًا ، ثم لاذ بعدها بالصمت ، حتى دخل مع زميله خلف (لوك) ، إلى مخزن يمتلئ بالآلات الزراعية القديمة ، وراق الهدوء داخله للآليين كثيرًا ، ورأى

وفى حين ، انحنى (تريبو) على (آرتو) ، وقال :
ـــ تذكّر أننى أنا الذى أفسد الآلى الزراعى .. ومن أجلك ..

(تريبيو) فى وسط المخزن حوضا كبيرًا ، تنبعث منه رائحة مثيرة ، جعلته يتجه إليه بسرعة ، فابتسم (لوك) ، وقال :

ـــ نعم .. هذا حوض التشحيم .. أعلم أنك تحتاج إلى أسبوع كامل داخله ، ولكن يجب أن تكتفى ببضع ساعات .

ثم التفت إلى (آرتو) ، الذى اتجه إليه ، وفتح بابا فى صدره ، وكأنما يريد ما بداخله ، فاستطرد (لوك) :

ـــ أما أنت ، فلست أدرى كيف أمكنك احتمال هذه الحالة حتى الآن .. إنك تحتاج إلى شحنك بالطاقة .

أطلق (آرتو) صفيرًا ، والتقط كابل الشحن من وحدة الطاقة ، وثبّته فى صدره ، فى حين ألقى (تريبيو) نفسه داخل حوض التشحيم ، وشغل (لوك) نفسه بعدد من الأعمال ، راح يؤديها بلا مبالاة ، وذهنه مشغول بحديثه السابق مع زميله (بيجز) ، حتى وجد نفسه يقول بصوت مسموع :

ـــ لا فائدة .. سأظلّ مقيدًا إلى هذه المزرعة اللعينة ، و (بيجز) يقاتل إلى جوار الثوّار ، ضد الإمبراطورية .

انتبه (تريبيو) إلى حديثه ، فغادر حوض التشحيم ، وجسده البرونزى يبرق فى شدة ، وقال :

ـــ هل يمكننى مساعدتك ياسيّدى ؟

التفت إليه (لوك) ، وقال :

ـ لست أعتقد هذا .. ليس قبل أن يسمح لى عمى بالخروج من كومة الرمال هذه .

وابتسم ابتسامة باهتة ، واستطرد :

ـ ثم لا داعى لمناداتى بلقب سيّدى .. اسمى (لوك) فقط .

قال (تريبيو) :

ـ وأنا (سى تريبيو) ، متخصّص فى العلاقات الإنسانية ، وهذا زميلى (آرتو ديتو) .

قال (لوك) ، وهو يفصل كابل الشحن عن صدر (آرتو) :

ـ أهلا بكما هنا .

انتبه فجأة إلى شىء غريب فى صدر (آرتو) ، فانحنى يفحصه فى اهتمام ، ثم نهض يحضر بعض أدواته ، وراح يعمل بها ، داخل تجويف صدر (آرتو) ، وهو يقول :

ـ يبدو أنكما قد واجهتما أحداثا كثيرة ، فلقد وجدت هنا بعض المواد الكربونية ، التى لم يسبق لى رؤيتها من قبل .

قال (تريبيو) :

ـ لو عرفت الحقيقة لأدهشك أننا ما زلنا نعمل يا سيّدى ، فلقد اشتركنا مع الثوّار ضد الإمبراطورية ، ونحن الآن لاجئان .

هتف (لوك) :

ـ لاجئان ؟!.. إذن فلقد رأيت معركة حقيقية فى السماء .. هنا يا (تريبيو) ، أخبرنى بكل ما حدث .

أجابه (تريبيو) :

ـ لقد شاركت فى الكثير من المعارك يا سيّدى ، ولكن ليس بشكل مباشر ، متخصّص هو ..

قاطعه (لوك) بخيبة أمل :

ـ أسنعود إلى هذا ثانية ؟

ثم استدار يواصل عمله فى صدر (آرتو) ، وهو يقول :

ـ هناك شىء محشور بداخلك ، ولكننى لست أدرى ما هو .

راح يضغط بآلته على هذا الشىء فى قوة ، حتى انبعثت منه فرقعة قوية ، جعلت (لوك) يتراجع فى حركة حادة ، فى حين توهّج صدر (آرتو) فى قوة ، ثم تكاثف هذا الوهج ، وتشكّل فى سرعة على هيئة صورة هولوجرافية ، ذات ثلاثة أبعاد ، ترتفع حوالى ربع المتر ..

وكانت صورة جميلة بحق ، لفتاة فاتنة ، صحبها صوت رقيق ، يقول :

— (أوبى — وان — كنوبى) .. ساعدنى .. أنت الأمل الوحيد الباقى لى .

كانت الدهشة الأعظم من نصيب (تريبيو) ، الذى هتف :

— من أين أتيت بهذه الصورة يا (آرتو) ؟

راح (آرتو) يطلق صفيره ، الذى ترجمه (تريبيو) على الفور إلى (لوك) ، الذى استمع إليه فى لهفة شديدة ، والآلى يقول :

— يدّعى (آرتو) أنه مجرّد شريط قديم ، كان محفوظًا فى ذاكرته ، ولا ينبغى أن نعيره اهتمامًا .

لم يرق هذا الجواب لـ (لوك) ، فى حين استطرد (تريبيو) :

— يخيّل إلىّ أنها صورة لشخصية مهمة ، كانت ضمن ركاب السفينة ، التى دمّرها الإمبراطوريون .

التفت (لوك) إلى (آرتو) ، وسأله :

— هل توجد بقية لهذا التسجيل ؟.. أراهن أنه توجد له بقية .. هيا .. أسمعنى إياها .

أطلق (آرتو) صفيرًا عصبيًا ، وهو يتراجع ، فقال (تريبيو) :

— ما هذا السلوك يا (آرتو) ؟.. السيّد (لوك) هو سيّدنا الجديد ، ولابد لنا من طاعته .

كان يخشى فى الواقع أن يغضب (لوك) ، فيعيدهما مرة أخرى إلى قبيلة (الجاوا) ، ويبدو أن (آرتو) قد أدرك سر قلق زميله ، فقد أطلق صفيرًا متردّدًا هذه المرة ، فسأل (لوك) (تريبيو) فى اهتمام :

— ماذا يقول هذه المرة ؟

أجابه (تريبيو) :

— يقول إن هذه الرسالة موجّهة إلى (أوبى وان كنوبى) ، وهو شخص يعيش على هذا الكوكب ، وما سمعناه هو جزء من هذه الرسالة الخاصة .. وهذا يدهشنى شخصيًا ، فلقد كان سيّدنا السابق هو كابتن (كولتن) ، ولم يسبق لى أن سمعت اسم (أوبى وان كنوبى) هذا ، ولكن بعد كل ما مرّ بنا من أحداث ، لن أستبعد أبدًا أن تصاب أجهزة (آرتو) بخلل ما .

قالها وهو يرمق (آرتو) بنظرة تحذير ، لم ينتبه إليها (لوك) ، الذى غمغم فى تفكير :

— (أوبى وان كنوبى) !! يبدو لى أننى قد سمعت هذا الاسم قبلًا .

ثم تهللت أساريره ، وهو يهتف :

— ربما يعنى الكهل (بن كنوبى) .

سأله (تريبيو) فى دهشة :

— أتعنى أنه هناك شخص يحمل هذا الاسم بالفعل ؟

قال (لوك) :

— ليس تمامًا ، لم أسمع أبدًا باسم (أوبى وان) هذا ، ولكن العجوز (بن) يعيش هنا ، بالقرب من حدود بحر الرمال الغربى ، وهو راهب عجوز ، يقول عنه عمى (أوين) وأصحابه أنه ساحر ، ولكنه — بحدود علمى — لم يمتلك أبدًا شخصًا آليًا .

تطلّع مرة أخرى إلى الصورة الهولوجرافية ، التى تنبعث من (آرتو) وتابع :

— يبدو لى أن هذه الفتاة تواجه مشكلة ما ، وينبغى أن نستمع إلى باقى رسالتها .

فى هذه المرة لم يتراجع (آرتو) ، عندما اقترب منه (لوك) ، ولكنه أطلق صفيرًا طويلًا ، ترجمه (تريبيو) ، قائلًا :

— يقول (آرتو) إنه عليك أن تفتح قفلًا خاصًا داخله ، لا يمكنه هو التحكّم فيه ذاتيًا ؛ لتسمع باقى الرسالة .

تطلّع (لوك) داخل صدر (آرتو) ، ثم اختار آلة مناسبة ، وراح يعمل بها فى صدر (آرتو) ..

وفجأة اختفت الصورة تمامًا ..

وانتظر (لوك) بضع دقائق ، ثم قال فى توتر :

— حسنًا .. أين الرسالة ؟

أطلق (آرتو) صفيرًا هادئًا ، فقال (تريبيو) فى تردّد :

— إنه يسأل : أية رسالة ؟

هتف (لوك) فى غضب :

— أية رسالة ؟!.. ما الذى تعنيه بهذا السؤال السخيف ؟ .. الرسالة التى سمعنا جزءًا منها الآن ، والتى تختزنها فى ذاكرتك الصدئة أيها العنيد المكابر .

اكتفى (آرتو) بإطلاق نغمات ناعمة ، فى حين قال (تريبيو) فى تردّد وقلق :

— معذرة يا سيّدى .. ولكن يبدو أن جزء الطاعة داخله لم يعد يعمل .

بدا الغضب على وجه (لوك) ، وهمّ بقول شىء ما ، عندما ارتفع صوت امرأة من الطابق السفلى ، تقول :

— أين أنت يا (لوك) ؟.. العشاء جاهز .
أجابها (لوك) :
— سآتى حالًا يا عمتى (بيرو) .
ثم التفت إلى (تريبيو) ، وقال فى حزم :
— سأعود بعد قليل .. حاول أن تقنع هذا العنيد بالتخلّى عن مكابرته .
لم يكد (لوك) يغادر المخزن ، حتى التفت (تريبيو) إلى صاحبه ، وقال :
— أدر هذا الشريط بالله عليك ، وإلا بحث هو عن وسيلة إدارته بنفسه ، مما قد يعرّض أجهزتك للتلف .
ولكن (آرتو) بقى على عناده ..
كان يعلم أن ما يحمله قد يغيّر وجه هذا الكوكب .. بل وجه الكون كله .

* * *

٤ — الرمـال ..

وقفت العمة (بيرو) فى المطبخ ، تعدّ طبقًا مثلجًا كبيرًا ، له لون أزرق باهت ، عندما تناهى إلى مسامعها ذلك الحديث التقليدى ، بين (لوك) وزوجها (أوين) ، حول رغبة الأوّل فى الالتحاق بأكاديمية الفضاء ، فتنهّدت فى أسف ، فهى تعلم أن (لوك) لم يتقبّل أبدًا وجوده فى المزرعة ، وأسرعت تعود إلى حجرة الطعام ، وتضع أمامهما طبق الحلوى ؛ ليغيّرا الحديث ..
ولقد نجحت فى هذا ..
لقد شغلتهما الحلوى اللذيذة عن نقاشهما بالفعل ، ثم قال (لوك) :
— يبدو لى يا عمى (أوين) أن الآلى (آرتو) هذا مسروق .
صبّ (أوين) لنفسه كوبًا من اللبن ، وقال :
— (الجاوا) لا يسرقون .. إنهم فقط يلتقطون ما يعثرون عليه فى الصحراء ، وهم يخشون العقاب كثيرًا .

وارتشف رشفة من كوب اللبن ، قبل أن يستطرد :

ـــ ولكن لماذا تعتقد أنه مسروق ؟

أجابه (لوك) :

ـــ لأنه سليم تمامًا ، وليس مثل الآليين ، الذين يبيعهم (الجاوا) عادة ، ثم إنه يشير إلى شخص يدعى (أوبى وان كنوبى) .

سعل (أوين) فى شدة ، عندما بلغ (لوك) هذه النقطة ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، فتابع (لوك) :

ـــ ربما يقصد (بن) العجوز ـــ صحيح أن الاسم الأوّل يختلف ، ولكن اللقب متشابه .

بقى (أوين) على صمته ، فواصل (لوك) :

ـــ هل تعرف شخصًا آخر ، يحمل نفس الاسم يا عمّاه ؟

أجابه (أوين) فى عصبية :

ـــ لا تذكر هذا الاسم أبدًا .. إنه لا يجلب سوى المتاعب .. ابق بعيدًا عن هذا الساحر العجوز .

أسرعت العمة (بيرو) تقول :

ـــ اهدأ يا (أوين) .

ولكنه تابع فى ثورة :

ـــ هذا الأمر شديد الخطورة .. لقد سبق أن أخبرتك أن (كنوبى) هذا عجوز مجنون ، وخطر على كل من يعرفه ، ولا يهمنى لو كان هذا الآلى ملكه ، أو ملك أى كائن كان .. لقد دفعت ثمنًا باهظًا له ، وهو ملكنا الآن ، ولن أعود إلى هذا الحديث أبدًا .

ولكن (لوك) سأله فى عناد :

ـــ ولكن ماذا لو أنه ملك لشخص آخر ، وأن هذا الـ (أوبى وان) يبحث عنه ؟

هزّ (أوين) رأسه فى أسف ، وقال :

ـــ لم يعد هناك وجود لـ (أوبى وان) .. لقد مات فى نفس الوقت ، الذى مات فيه والدك .

تملَّك الانفعال (لوك) ، على الرغم من صوته الخافت ، وهو يقول :

ـــ إذن فقد كان هناك رجل يحمل هذا الاسم بالفعل .

أعاد هذا القول إلى (أوين) غضبه ، فقال فى حدة :

ـــ قلت لك انس هذا الأمر تمامًا ، وعليك أن تعدّ هذين الآليين للعمل فى الصباح .. هل تفهم ؟.. لقد دفعنا مدخراتنا كلها ثمنًا لهما ، ولولا اقتراب موسم الحصاد ما ابتعتهما .. حاول أن تتذكّر هذا دائمًا .

قال (لوك) :
ـ حسنًا يا عماه ، ما داما سيفيدانك إلى هذا الحد ، فسأقدّم أوراق إلى أكاديمية الفضاء فى العام القادم .
ارتسمت تكشيرة كبيرة على وجه (أوين) ، ونظر إلى طبق الطعام فى صمت ، فاستطرد (لوك) :
ـ إنك تمتلك عددًا كافيًا من الآليين الآن ، وحالتهم جيّدة و ..
قاطعه (أوين) مزمجرًا :
ـ الآليون لا يمكنهم أن يحلّوا محل البشر بالكامل .. إننى أحتاج إليك فى موسم الحصاد ، ولدينا الفرصة لتحقيق ثروة عظيمة هذه المرة ، وفيما بعد يمكننا استئجار بعض البشر .. اصبر يا (لوك) .. اصبر وسيتحقّق لك ما تريد .
نهض (لوك) ، دون أن يكمل طعامه ، وهو يقول :
ـ هذا ما سمعته منك فى العام الماضى ، عندما سافر (بيجز) .
انزعجت عمته ، وهتفت به :
ـ إلى أين يا (لوك) ؟
أجابها وهو يغادر الحجرة :

ـ ليس إلى أى مكان .
ران الصمت الثقيل على حجرة الطعام ، بعد انصراف (لوك) ، ثم قالت العمة (بيرو) :
ـ لا يمكنك أن تستبقى هذا الفتى إلى الأبد .. لقد التحق معظم أصدقائه بأعمال خارجية ، وأنت تدرك رغبته الشديدة ، فى الالتحاق بالأكاديمية .
أجابها (أوين) :
ـ سأحاول تحقيق رغبته فى عام قادم ، عندما يكون لدينا المال الكافى .
قالت فى حدة :
ـ (لوك) ليس مزارعًا بطبعه ، ولن يصبح كذلك مهما فعلت .. إنه فى الواقع يُشبه أباه .
قال (أوين) بكل القلق الكامن فى أعماقه :
ـ هذا ما كنت أخشاه ..
أما (لوك) ، فقد غادر المكان متجهًا إلى المخزن ، وتوقّف قليلًا يراقب غروب ، شمسى (تاتوين) ، واحدة تلو الأخرى ، خلف الكثبان البعيدة ، والرمال المتوهّجة بلون برتقالى بديع مع الغروب ، ثم تابع طريقه إلى المخزن ، وهناك توقّف فى دهشة ، وهو يبحث عن (آرتو) و (تريبيو) ، وهتف :

— أين أنتما ؟

برز (تريبيو) من خلف طائرة (لوك) الصغيرة ، فسأله (لوك) :

— لماذا تختبئ عندك ؟.. وأين (آرتو) ؟

بدا (تريبيو) شديد الذعر واليأس ، وهو يقول :

— أنا لم أفعل شيئًا .. أرجوك لا تعاقبنى .. لقد حاولت منعه ، ولكنه لم يستجب .. لا ريب أن خللًا قد أصاب أجهزته .. لقد تحدث عن مهمة لابد له من إنجازها ، ثم ..

قاطعه (لوك) فى سرعة :

— أتعنى أنه قد ذهب ؟

أجابه (تريبيو) :

— نعم ياسيّدى .. لقد رحل .

شعر (لوك) بالتوتر ، وهو يتصوّر موقف عمه ، الذى أنفق آخر مدخراته فى شراء هذين الآليين ، ثم اندفع إلى الخارج بحثًا عن (آرتو) ، وهو يتساءل عن الأسباب ، التى دعته للهرب هكذا ، واعتلى تبة قريبة ، ووضع منظاره على عينيه ، وراح يبحث عن شىء معدنى ، له ثلاثة أرجل ، وقد أصاب الجنون عقله الآلى ، ثم لم يلبث أن غمغم فى حنق :

— لا يوجد أدنى أثر له .. سيقتلنى عمى حتمًا ، إذا ما عرف هذا .

قال (تريبيو) الواقف إلى جواره :

— ألا يمكننا أن نبحث عنه ؟

تلفّت (لوك) حوله مرة أخرى ، وقال :

— ليس قبل الصباح ، فالابتعاد شديد الخطورة فى الليل .. ليس بسبب (الجاوا) ، وإنما بسبب سكان الرمال المتوحشين .. يا إلهى !.. لقد وضعنى (آرتو) هذا فى موقف شديد الحرج .

غمغم (تريبيو) :

— هذا تخصصه ، الذى يبرع فيه .

ولكن أعماقه الآلية كانت تعلم أن (آرتو) يقوم بمهمة خطيرة هذه المرة ..

مهمة عمره كله ..

* * *

لم يكد يتبلج الصباح ، حتى راح (أوين) يهتف :

— (لوك) .. (لوك) .. أين يمكن أن يكون هذا الفتى ؟.. لا أثر له فى المنزل أو المخزن !!

دخل إلى المطبخ ، حيث انهمكت العمة (بيرو) فى تحضير الإفطار ، وسألها فى غضب :

ــ هل رأيت (لوك) هذا الصباح ؟

أجابته :

ــ نعم .. لقد أخبرنى أن لديه ما يفعله بالخارج ، قبل أن يذهب إلى المزرعة ، ولهذا انصرف مبكرًا .

قال مستنكرًا :

ــ قبل أن يتناول طعام الإفطار ؟!.. وهل اصطحب الآليين الجديدين معه ؟

أجابته فى ضجر :

ــ يبدو هذا ، فقد رأيت أحدهما يسير إلى جواره .

تطلّع (أوين) إلى الصحراء الممتدّة أمامه ، وقال فى حنق :

ــ وهل سأنتظر طويلًا ؟

لم يتلق من زوجته جوابًا هذه المرة ، ولم يكن يعلم أن انتظاره سيطول هذه المرة ..

سيطول كثيرًا جدًّا ..

* * *

أخرج الجندى الإمبراطورى وجهه ، ذا القناع المعدنى

الأبيض ، من قارب النجاة الضائع وسط الصحراء ، وقال لزملائه خارجه :

ــ لا يوجد أى شىء .. لا شرائط ولا أحد أيضا .

التفت جندى آخر إلى الضابط الواقف بعيدا ، وهتف :

ــ إنه قارب النجاة ، الذى غادر سفينة الثوّار يا سيّدى ، ولكنه خال تمامًا .

علّق الضابط قائلا :

ــ ولكنه هبط واستقرّ على الرمال فى سلام ، وهذا يعنى أنه كان هناك من يقوده .

جذب شىء ما انتباهه فى شدة ، فانحنى يلتقطه من بين الرمال ، وتفحّصه قائلًا :

ــ هذه قطعة من جسد شخص آلى .

وتطلّع مرة أخرى إلى بحر الرمال ، الممتدّ إلى مالا نهاية ، واستطرد :

ــ حسنًا .. سنرى .

وبدت لهجته مخيفة ..

* * *

انطلق (لوك) بسيارته الطائرة فوق الرمال ، فى سرعة

فائقة ، ومهارة جعلته يتفادى الصخور والكثبان الرملية فى يسر ، وهو يقول لـ (تريبيو) ، الجالس إلى جواره :

ـ إن (بن كنوبى) يعيش فى هذه المنطقة ، ولكن لا أحد يعلم أين بالضبط ، وعلى أية حال ، لست أظن أن (آرتو) قد وصل إلى هنا ماشيًا على قدميه ، وإلا فإننا قد تجاوزناه ، دون أن ننتبه إليه وسط الرمال ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، وأشار إلى نقطة ظهرت على شاشة الكمبيوتر ، وهو يستطرد فى اهتمام :

ـ انظر .. ربما كان (آرتو) .

زاد من سرعة الطائرة ، دون أن يدرى أنه هناك عيون عديدة تراقبه ..

عيون ليست بشرية ، ولكنها أيضًا ليست آلية ..

ولا أحد يدرى نوع هذه العيون ، لأن أحدًا لم يجرؤ قط على الاقتراب من أصحابها ، الذين يحملون اسم (تاسكين أوكى) ، ويُطلق عليهم مزارعو (تاتوين) اسم سكان الرمال المتوحشين ، ويعتقد بعض العلماء أنهم و (الجاوا) من أصل واحد ، ولكن أحد الجنسين تطوّر عن الآخر ، وهما يتشابهان أيضًا فى ارتداء الثياب الثقيلة ، التى تقيهما أشعة الشمسين الحارقة ، أما فيما عدا ذلك ، فهما يختلفان تمامًا ..

(الجاوا) يرتدون ثيابًا محيكة ثقيلة ، فى حين يلفّ سكان الرمال أنفسهم بقطع من القماش والأربطة مثل المومياوات ، ثم إن (الجاوا) قوم جبناء ، يخشون كل شىء ، فى حين لا يهاب سكان الرمال شيئًا ، وهم عدوانيون ، قساة القلوب بطبعهم ، ومن حسن حظ الجميع أنهم مجرّد شرذمة ، تحيا على الأطراف النائية المهجورة من الصحراء ، وإلا بات الكوكب كله فى خطر منهم ..

ويستخدم سكان الرمال فى تنقلاتهم حيوان (البانثا) ، وهو فى حجم ديناصور صغير ، له عينان صغيرتان لامعتان ، ويغطى جسده فراء كثيف ، وله صوت أشبه بفحيح الثعبان ..

ولهذا كانت سيارة (لوك) بالغة السرعة ، بالنسبة لـ (البانثا) ، بالرغم من اتساع خطوة هذا الأخير ..

وفجأة رأى (لوك) (آرتو) أمامه ، فأوقف سيارته الطائرة ، وقفز منها ، ووضع سلاحه على كتفه ، وتوقّف (آرتو) فور رؤيته ، فقال له (لوك) :

ـ إلى أين تعتقد أنك ذاهب ؟

أما (تريبيو) ، فاندفع يقول :

ـ ما هذا يا (آرتو) ؟ أنت تعلم أن السيّد (لوك) هو

صاحبك الحقيقى ، ولا يمكنك تركه هكذا .. والآن هيا نعود ، ولا نريد أن نسمع منك كلمة واحدة بعد هذا ، عن (أوبى وان كنوبى) هذا ، أو عن أية مهمة أخرى ، ولابد أن تشكر السيِّد (لوك) ؛ لأنه لم يقم بتفتيتك إلى مليون قطعة ، و ..

قاطعه (لوك) :

ـ يكفى هذا .. لقد تأخر الوقت ، هيا نعود ، قبل أن يقلق عمى (أوين) .

ولكن (آرتو) راح يطلق صفيرًا عصبيًّا ، ويقفز فى توتر ، فسأل (لوك) :

ـ ما هذا ؟

أجابه (تريبيو) :

ـ (آرتو) يدّعى وجود مخلوقات غريبة ، غير مسجَّلة فى ذاكرته ، تقترب من الجنوب الشرقى .

شكّ (لوك) فى أن تكون هذه خدعة جديدة من (آرتو) ، ولكنه اتخذ الحذر ، واستعدّ بسلاحه ، خاصة وأنه قد ابتعد داخل الصحراء ، إلى مدى لم يبلغه قط ، ولم يسبق له أن واجهه ، وسار فى حذر متفحِّصًا المكان ، وخلفه (تريبيو) ، وتسلّق تلًّا صخريًّا صغيرًا ، ووضع منظاره فوق

عينيه ، وراح يديره فيما حوله ، حتى لمح واحدًا من حيوانات (البانتا) الضخمة ، ولكن بدون راكبه ، ثم لمح آخر على مقربة منه ، فغمغم :

ـ أين راكباهما ؟

وفجأةً اعترض طريق رؤيته جسم أسود ضخم ، لم يكد يرفع منظاره عن عينيه ، ويتطلّع إليه ، حتى تراجع فى ذعر ..

كان هناك عملاق أسود بالغ الضخامة ، يقف أمامه ، ويرفع فأسه إلى أعلى ..

وتراجع (تريبيو) فى ذعر ، فسقط وتدحرج إلى أسفل ، فى حين هوى العملاق بفأسه على رأس (لوك) ، الذى حاول صد الضربة ببندقيته ، وتراجع محاولًا الاحتماء ، ولكن العملاق رفع فأسه مرة أخرى ، وأطلق ضحكة رهيبة ، شعر بعدها (لوك) بدوار شديد ..

ثم سقط فاقد الوعى ..

وحمل سكّان الرمال جسد (لوك) ، وألقوه فوق كومة رمال قريبة ، والتفوا حول السيارة ، ينهبون ما فيها ..

وفجأةً ارتفع عواء رهيب من ناحية الغرب ..

وتسمّر سكان الرمال فى أماكنهم ..

وارتفع العواء مرة أخرى ، فأصيب الجميع بفزع هائل ، وراحوا يمتطون حيوانات (الباتا) ، ويفرّون فى رعب ، فى حين ظلّ (آرتو) مختبئًا فى مكمن وسط الرمال ، وقد اقتنعت دوائر منطقه الآلية بأن ما أفزع هؤلاء المتوحشين هو شىء مفترس بحق ، ومن الأفضل له أن يظلّ مختبئًا بالرمال منه ، خشية ألّا يميّز بين الأجسام العضوية ، التى يمكن أن تؤكل ، وجسده هو المعدنى ..

ثم ارتفع صوت كوقع أقدام ، راح يتزايد تدريجيًا ، حتى ظهر من خلف التل القريب شبح متشح بالسواد ، وراح يقترب من (لوك) الفاقد الوعى ..

وأوقف (آرتو) آلاته كلها ، واتفقت مشاعره الآلية كلها على شعور واحد ..

الرعب .

* * *

٥ ـ أوبى وان ..

أعاد (آرتو) أجهزته كلها للعمل ، وهو يتطلّع إلى الشبح ، الذى بدا طويل القامة ، منفرج الأسارير ، لا يحمل لمحة شر واحدة ، وهو يقترب من (لوك) الفاقد الوعى ..

وإلى حد كبير ، شعرت آلات (آرتو) بالارتياح ..

كان القادم كهلًا ، يرتدى عباءة قديمة ، فوق ثوب فضفاض ، محاط عند وسطه بأربطة من الجلد ، وعلى كتفه آلة غريبة ، ووجهه يشفّ عن طول تعرّضه لقسوة مناخ هذه المنطقة ، من حرارة شديدة ، ورطوبة وصقيع ؛ فقد غارت التجاعيد فى جبهته ، وحول عينيه ، اللتين تبرقان مثل بلّور فيروزى ، وانسدلت لحيته كتلة بيضاء ، وهو يبتسم ابتسامة وقور ، ويتطلّع إلى جسد (لوك) ، الملقى إلى جوار مركبة الرمال ..

وأدرك (آرتو) أن الفزع قد أصاب سكان الرمال عبثًا ، وأن هذا الكهل لا يضمر الأذى لأى مخلوق ، فحرّك فى موضعه حركة بسيطة ، جعلت الكهل يلتفت إليه ، ويقول فى صوت يحمل نبرة مرح :

ـ غادر مكمنك يا صغيرى .. لا داعى للخوف .

شعر (آرتو) بالارتياح لهذا الصوت ، وبدا له أن وجود أى بشر أفضل كثيرًا من البقاء محشورًا ، بين هاتين الصخرتين ، فغادر مخبأه ، ومشى تحت أشعة الشمسين إلى حيث يرقد (لوك) ، وانحنى فوقه مُطلقًا صفيرًا طويلًا ، يشفّ عن قلقه ، فانحنى الكهل بدوره يفحص (لوك) ، ومسّ جبهته بأنامل حانية ، ثم أمسك معصمه ، فارتجفت جفون (لوك) ، مما حدا بالكهل للابتسام ، وهو يقول :

ـ سيستعيد وعيه الآن .

فتح (لوك) عينيه بالفعل ، وتطلّع حوله مغمغمًا :

ـ ماذا حدث ؟

ربّت الكهل على كتفه ، وقال :

ـ لا تتحرّك كثيرًا يا ولدى ، لقد واجهت موقفًا عصيبًا ، ومن حسن حظك أنك مازلت تحتفظ برأسك فوق كتفيك .

تطلّع (لوك) إلى الكهل لحظات فى حيرة ، ثم بدا من تألّق عينيه أنه قد تعرّفه ، فهتف :

ـ (بن كنوبى) .. كم تُسعدنى رؤيتك .

ثم تذكّر موقفه ، فتلفّت حوله فى ذعر ، باحثًا عن سكّان الرمال المتوحشين ، ولكن الكهل ابتسم وسأله :

فانحنى الكهل بدوره يفحص (لوك) ، ومسّ جبهته بأنامل حانية ، ثم أمسك معصمه ، فارتجفت جفون (لوك) ..

ـــ ما الذى أتى بك إلى أطراف الصحراء يا فتى ؟.. ألا تدرك خطر التجوال ، فى مثل هذه المناطق ، بمفردك ؟

اعتدل (لوك) جالسًا فى مكانه ، وهو يقول ، مشيرًا إلى (آرتو) :

ـــ هذا الآلى الصغير ، هو الذى أتى بى إلى هنا ، فلقد بدا له أنه قد أصيب بالجنون ، وهو يصرّ على البحث عن صاحبه السابق ، والواقع أننى لم أر ـــ فى عمرى كله ـــ مثل هذا الإخلاص من آلى .. إنه يعتقد أن مالكه السابق يُدعى (أوبى وان كنوبى) ، وأنه لا بد له من البحث عنه .. أخبرنى يا (بن) .. أهذا الـ (أوبى وان) أحد أقاربك ؟

تقطّب جبين الكهل ، وهو يقول :

ـــ (أوبى وان كنوبى) ؟!.. إننى لم أسمع هذا الاسم منذ زمن طويل .. طويل جدًا .

قال (لوك) :

ـــ عمى (أوين) يقول إنه قد مات .

أجابه الكهل فى سرعة :

ـــ لا .. ليس بعد .

نهض (لوك) ، وهو يسأله فى لهفة :

ـــ أتعرفه إذن ؟

ابتسم الكهل ابتسامة عريضة ، جعلت تجاعيد وجهه تبدو أكثر عمقًا ، وهو يقول :

ـــ وكيف لا أعرف نفسى يا فتى ؟

حدّق فيه (لوك) فى ذهول ، فاستطرد الرجل :

ـــ صحيح أن أحدًا لم يعد يناديني باسم (أوبى وان) هذا ، منذ سنوات طوال ، ولكننى أحب هذا الاسم .. أتتصوّر أننى لم أسمعه من قبل مولدك يا (لوك) .

هتف (لوك) :

ـــ إذن فهذا الآلى ملكك بالفعل .

تطلّع (أوبى وان) إلى (آرتو) ، وأجاب فى عمق :

ـــ هذا هو الجزء العجيب فى الأمر ، فلست أذكر أبدًا أننى امتلكت آليًا مثل هذا .

ثم بدا وكأنما قد نفض الأمر كله عن عقله ، وهو يستطرد فى بساطة :

ـــ على أية حال ، يجب أن تبتعد عن هنا ، فسيعود سكان الرمال حتمًا ، وبأعداد كبيرة ، لسرقة سيارتك .. هيا بنا .

قالها ووضع كفيه حول فمه ، والتقط نفسًا عميقًا ، ثم أطلق صيحة ..

نفس الصيحة المخيفة ، التى سمعها (آرتو) من قبل ، والتى دفعت سكان الرمال للفرار ..

ثم ابتسم (أوبى وان) ، وقال :

— هيا .. سنركب سيارتك ، ونترك هذا المكان فى سرعة .

ولكن (آرتو) أطلق صفيرًا أشبه بالأنين ، واندفع مبتعدا عن السيارة ، فأدرك (لوك) الأمر فى سرعة ، وهتف :

— أين (تريبيو) ؟.. تعال معى يا (بن) .

أسرعا خلف (آرتو) ، الذى قادهما إلى حافة فجوة عميقة ، استقرّ داخلها (تريبيو) ، وقد انكسرت ذراعه ، وانفصلت عن جسده ، فهبط (لوك) و (بن) إلى أسفل الفجوة ، وراح (لوك) يهزّ (تريبيو) ، ويهتف باسمه عدة مرات دون جدوى ، ففتح صندوق الأزرار بصدره ، وراح يضغطها أكثر من مرة ، حتى سمع صوت آلات (تريبيو) تعمل ، ورأى هذا الأخير يعتمد على ذراعه الأخرى ، وينهض واقفا ، وهو يقول :

— معذرة يا سيدى .. يبدو أننى قد تعثرت .

قال (لوك) فى ارتياح :

— من حسن الحظ أن دوائرك الآلية ما زالت تعمل .. هيا بنا .

حاول (تريبيو) أن يتبع سيّده ، إلا أنه لم يستطع التحرّك فى سهولة ، فلم يكن من (لوك) و (أوبى وان) إلا أن راحا يدفعانه ، ويجرّانه ، حتى أخرجاه من الفجوة الرملية ، و (آرتو) يراقب الموقف فى صمت ، حتى رفع (أوبى وان) أنفه إلى أعلى ، وراح يتشمّم الهواء فى عمق ، ثم قال فى قلق :

— فلنسرع .. إنهم عائدون .

وأسرع الجميع إلى سيارة (لوك) الطائرة ..

وبدأت الرحلة ..

* * *

لم يكن منزل (أوبى وان) سوى كهف فسيح ، يختفى عن الأنظار ، وعلى الرغم من سمة التقشّف الواضحة فى حياة (أوبى وان) ، كان كهفه بسيطًا ومريحًا ، ليس للجسد فحسب ، وإنما للعقل أيضًا ، مما يعكس طبيعة صاحبه ، الذى حرص أشدّ الحرص ، على إخفاء آثار السيارة ، طوال الطريق إلى كهفه ، وكأنما يحيا بالحذر والحرص دائمًا ..

وعند الكهف ، قضى (لوك) بضع ساعات ، فى إصلاح وتركيب ذراع (تريبيو) المكسورة ، التى انخلعت من عند

المفصل تمامًا ــ لحسن الحظ ــ مما جعل (لوك) ينجح فى إعادتها إلى موضعها ، وتوصيلها بالأسلاك السليمة ، وإلا اضطر الأمر إلى إرسال (تريبيو) إلى واحدة من محطات الإصلاح الضخمة ..

وفى نفس الوقت ، كان (أوبى وان) يعمل فى رأس (آرتو) وصدره المفتوح ، حتى انتهى من عمله ، فاعتدل وهو يقول :

ــ حسنًا يا صغيرى .. دعنا نستمع الآن إلى ما لديك .

انتبه (لوك) ، فأسرع يتجه إلى حيث (أوبى وان) و (آرتو) ، وهو يقول :

ــ لقد سبق لى أن رأيت جزءًا من هذه الرسالة ، و ...

قبل أن يتمّ حديثه ، كان (أوبى وان) قد ضغط زرًّا من أزرار (آرتو) ، فتجسّدت صورة الفتاة مرة أخرى ، ولكن بشكل أكثر وضوحًا وثباتًا ، فانحبست كلمات (لوك) فى حلقه ، وهو يتطلّع إلى الفتاة مبهورًا ، فى حين بدأت الرسالة تقول :

ــ جنرال (أوبى وان كنوبى) .. أقدّم لك نفسى ، بالنيابة عن أسرة (آلدران) العالمية ، واتحاد بعث الجمهورية

القديمة .. اسمح لى أن أقطع عليك خلوتك بالصحراء ، فقد طلب منى والدى (بيل أورجانا) ، نائب الملك ، ورئيس مجلس إدارة (الدران) أن ألجأ إليك .. منذ سنوات كنت تحارب من أجل الجمهورية القديمة ، والآن يرجوك أبى أن تنضمّ إلينا مرة أخرى ، فى هذا الوقت الحرج ، ويطلب منك السفر إلى (الدران) ؛ لمقابلته .. أعتذر عن عدم حضورى بنفسى ، فقد فشلت مهمتنا ، ولهذا اضطررت لنقل الرسالة إليك بهذه الوسيلة .. هناك معلومات هامة وحيوية للغاية ، وتفيد نجاح الثورة ، وكلها مختزنة فى ذاكرة الآلى (آرتو ديتو) ، وأبى وحده يستطيع استعادتها من ذاكرته .. أرجوك توجّه فورًا إلى (الدران) يا جنرال (أوبى وان) .. وخذ معك هذا الآلى .

توقّفت الفتاة لحظة ، ثم أضافت فى سرعة وانفعال :

ــ (أوبى وان كنوبى) .. ساعدنى ، فأنت أملى الوحيد .. سيأسرنى عملاء الإمبراطورية الآن ، ولكنهم لن ينجحوا فى انتزاع معلومة واحدة منى .. كل المعلومات الآن فى ذاكرة (آرتو ديتو) .. لاتخذلنا يا (أوبى وان) .. أرجوك .

انتهت الرسالة عند هذا الحد ، وتلاشت صورة الفتاة ، ورفع (آرتو) رأسه إلى (أوبى وان) فى أمل ، فى حين شملت الدهشة (لوك) ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، فلم ينبس ببنت شفة ، أما (أوبى وان) فقد ارتكن برأسه إلى حائط الكهف ، وراح يدخن شيشة بدائية ، وهو يفكّر فى عمق شديد ، إلى أن أفاق (لوك) من دهشته ، فتطلّع إلى (أوبى وان) ، وهو يقول لنفسه فى خفوت بالغ :

— أهذا هو الراهب العجوز ، والساحر المجنون ؟!

ثم ارتفع صوته ، وهو يقول :

— جنرال (أوبى وان كنوبى) المحارب .. أهو أنت ؟

أجابه (أوبى وان) فى رصانة :

— نعم يا (لوك) .. لقد كنت واحدًا من فرسان (الجيدى) .. تمامًا مثل والدك .

قال (لوك) فى حيرة :

— ولكن عمى يقول : إن والدى كان ملّاحًا فضائيًا .

ابتسم (أوبى وان) ، وقال :

— لم يكن (أوين) يوافق أبدًا على أفكار والدك ، أو فلسفته فى الحياة ، فلقد ظلّ دائمًا يرى أنه من الأفضل أن

يبقى والدك فى المزرعة ، وأن يعمل مزارعًا طيلة عمره ، ومن المؤكّد أنه يخشى معرفتك لحقيقة والدك ، حتى لا تتأثّر به ، وتترك (أنكورهيد) والزراعة ، كما فعل هو من قبل .

قال (لوك) فى أسف :

— أتمنى لو أننى عرفت أبى أكثر ، ولكنه مات فى طفولتى .

صمت (لوك) لحظات ، وقال :

— لقد كان قويًّا شجاعًا ، يمتلك إحساسًا غريزيًّا بالقوة الطبيعية .. وكان صديقًا عزيزًا بحق ، و ..

بتر عبارته ، وبدا لحظات كشيخ أثقل التعب كاهليه ، إلا أنه لم يلبث أن استعاد بريق عينيه فى سرعة ، وقال فى مرح :

— ولكننى سمعت أنك أيضًا طيار ماهر .. إن المهارة فى الطيران ليست شيئًا موروثًا بالطبع ، ولكننى لست أشك فى أنك قد ورثت الكثير عن والدك ، والمزيج من الدراسة والعلم يصنع الكثير .. حتى البطة الصغيرة تتعلّم العوم .

سأله (لوك) فى دهشة :

— ما هى هذه البطة ؟

ابتسم (أوبى وان) وقال :

— لا تهتم كثيرًا بهذا .. إنها طائر قديم منقرض .. المهم أنك

قد تغيّرت كثيرًا ، منذ رأيتك طفلاً يا (لوك) ، وصرت تشبه والدك .. لحظة يا فتى .. لدى هنا شىء تركه لك والدك ، ولقد أردت دائمًا أن أعطيك إياه ، ولكن عمك (أوين) كان يرفض هذا فى إصرار ، خشية أن تتهوّر ، وتتبع مسار (أوبى وان) العجوز .

نهض (أوبى وان) ، وفتح صندوقًا كبيرًا بالحائط ، والتقط منه آلة صغيرة ، ناولها إلى (لوك) ، الذى راح يقلّبها فى يده فى حيرة ..

كانت عبارة عن قفاز صغير ، به عدة أزرار ، وخلية للطاقة ، ومثبت فيها أسطوانة معدنية ، مزيّنة بفصوص أشبه بمجوهرات صغيرة ..

وضغط (لوك) أحد الأزرار ، فانطلق من اليد شعاع أزرق ، يبلغ طوله المتر تقريبًا ، فهتف (أوبى وان) :

— احترس .. إنه من القوة بحيث يمكنه أن يخترق الحائط ، أو يذيب جسد إنسان .

أعاد (لوك) القفاز إلى جواره ، فى حين استطرد (أوبى وان) :

— إنه سلاح فرسان (الجيدى) ، الذين كانوا أعظم قوة

فى المجرة ، لأكثر من ألف جيل ، وكان الجميع يحترمهم ويجلّهم ؛ لمحافظتهم على العدل والسلام فى الجمهورية القديمة .

شرد بصر (لوك) ، وهو يتطلّع إلى الفضاء ، ثم التفت إلى (أوبى وان) ، وسأله فى بطء :

— كيف مات أبى ؟

تردّد (كنوبى) فى الإجابة ، ثم لم يلبث أن حسم أمره ، وقال :

— لقد خانه أحد فرسان (الجيدى) وقتله .. إنه (دارث فادر) .. المعروف الآن باسم (دون فادر) .. ولقد كان أحد تلامذتى الأذكياء ، ولكننى أعترف — للأسف — أننى قد فشلت فى تعليمه .

نهض من مكانه ، وراح يسير جيئة وذهابًا فى الكهف ، وهو يتابع :

— لقد استغلّ (فادر) تدريباته ، والقوة الكامنة فى أعماقه للشر ، ولمساعدة الأباطرة الفاسدين ، الذين تولّوا الحكم فيما بعد ، وشارك فى مؤامرة شريرة للقضاء على فرسان (الجيدى) ، وتشتيتهم ، وبعدها لم يجد من يعارضه .

وارتسم على وجهه تعبير عجيب ، وهو يستطرد :

— لقد كان الفرسان على خلق ، أكثر مما ينبغى ، فوثقوا فيمن حولهم ، وفى استقرار الإمبراطورية ، ولم يدركوا أن الجسد قد يكون سليمًا معافى ، ولكن الرأس يضعف ، ويستشرى فيه المرض ، حتى تمكّن الإمبراطور من السيطرة على كل شىء .. وكم أتمنى الآن أن أعرف ما يهدف إليه (قادر) فى النهاية ، فأعماق تقول إنه يعدّ الأمور لخطّط مبهم فظيع ، فهذا قدر من يمتلك السلطة ، وتحكمه قوى الشر ، ثم إن (قادر) يدرك تلك القوة الطبيعية ، التى تسود الكون من حولنا ، و ....

قاطعه (لوك) :

— إنها المرة الثانية ، التى تذكر فيها هذه القوة الطبيعية ، فما هى ؟

صمت (أوبى وان) لحظات ، ثم أجاب :

— معذرة يا فتى .. أنسى أحيانًا أننى أتحدّث مع شاب من جيل آخر .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد :

— القوة الطبيعية هى طاقة تملأ الكون من حولنا ، ولقد حاول العلماء تفسيرها بأنها تنبعث من الأجسام الحية ، وأن

الإنسان البدائى علم بوجودها ، ولكنه ظلّ يجهل كنهها وماهيتها لملايين السنين ، والقلائل فقط من نجحوا فى تنظيمها ، وأطلق عليهم الآخرون اسم السحرة ، والمشعوذين ، وأسماء أسوأ من هذا ، وهناك ندرة استطاعت الاستفادة من القوة ، فلم يفهمهم أحد ، وعاشوا غرباء بين الناس .

وفتح ذراعيه فى الهواء ، مستطردًا :

— القوة تحيط بنا جميعًا ، وبعض الناس يؤمنون بأنها تحكم أفعالنا ، واعتراف فرسان (الجيدى) بوجود هذه القوة ، هو الذى منحهم نفوذهم الخاص .

ثم التفت إلى حيث يقف (لوك) ، وأكمل فى حزم :

— لابد لك من أن تتعلّم التعامل مع القوة ، إذا ما أردت أن تصحبنى إلى (ألدران) يا (لوك) .

فوجئ (لوك) بالقول ، وقال :

— (آلدران) .. ولكننى لا أعلم حتى أين (آلدران) ؟!.. هذه .. ثم إن الوقت قد تأخر ولا بد لى من العودة إلى (أنكورهيد) .

بدا وكأنما قد تذكّر أمرًا ما ، وهو يلتفت بغتة إلى (آرتو) ، مستطردًا :

— أما بخصوص (آرتو) ، فيمكنك الاحتفاظ به ،

وأعتقد أنه يرغب فى هذا ، وسأبحث أنا عن تبرير لعمى عند عودتى ، وأرجو أن يقنعه هذا و ...

اضطر لبتر عبارته ، أمام نظرة (أوبى وان) ، التى تجمع ما بين الحزن والصلابة ، فقال هذا الأخير ، وصوته يحمل نفس الانفعالين :

ـ أنا أحتاج إلى مساعدتك يا (لوك) .. لقد صرت عجوزًا ، بالنسبة لمثل هذه المهام ، وهذه المهمة بالغة الخطورة ، ولقد سمعت ورأيت الرسالة بنفسك .

قال (لوك) فى تردّد :

ـ ولكننى لا أستطيع الاشتراك فى مهمة كهذه .. هناك واجب ينتظرنى .. الحصاد وغيره .. حتى ولو استطاع عمى استئجار آخرين .. إنه واجبى .

لم يقنع بكل ما نطقه لسانه ، فأضاف فى عصبية :

ـ ثم إن هذا الأمر بعيد جدًّا عن هنا ، وهو لا يخصّنى .

قال (أوبى وان) :

ـ إنك تتحدّث كما لو كنت تتقمّص شخصية عمك .

تنهّد (لوك) ، وقال :

ـ عمى ؟!.. لست أدرى كيف سأشرح له كل هذا !

أخفى (أوبى وان) ابتسامته ، وهو يتطلّع إلى (لوك) .. كان يعرف أن قدر هذا الأخير قد تحدّد ..

تحدّد من قبل أن يعلم حتى كيف مات أبوه ..

تحدّد عندما سمع ورأى الأميرة (أورجانا) الجميلة ، وهى تتوسّل طالبة المساعدة ..

بل ربّما تحدّد من قبل حتى أن يولد ..

من يدرى ؟..

وفى حزم ، قال (أوبى وان) :

ـ تذكّر يا (لوك) أن عذاب شخص واحد ينعكس على الجميع ، فلا توجد تفرقة فى الظلم ، وما لم نتصدّ له فى الوقت المناسب ، سيعمّ الجميع ، سواء تجاهلوه أو تصدّوا له .

ران عليهما الصمت طويلًا ، ثم قال (لوك) فى خفوت :

ـ أستطيع أن أصحبك إلى (أنكورهيد) ، ومنها يمكنك الذهاب إلى مطار (موسى أيزلى) ؛ لتقلع إلى حيث تشاء .

أجابه (كنوبى) فى هدوء :

ـ هذا يكفينى الآن .

ثم ابتسم ، وأردف :

ـ وبعدها افعل ما ترى أنه واجبك .

وكان كمن يقرأ لوح القدر ..
قدر (لوك) ..

* * *

كانت الزنزانة صامتة مظلمة ، صمّمت بشكل يمنح المسجون شعورًا بالعجز والضعف ..

وهذا ما شعرت به الأميرة (ليا اورجانا) ، وهى تجلس فى الزنزانة ، التى لا يتسرّب إليها شعاع واحد من الضوء ، يمكنها من رؤية جدرانها المعدنية ، أو سقفها المرتفع .

ثم سمعت صوت الباب السميك ، ودلف الضوء إلى الزنزانة ، تصحبه ثلة من جنود الإمبراطورية ، يحملون أسلحتهم ، واصطفوا على جانبى الزنزانة ، كما لو كانوا يخشون سجينتهم الضعيفة الرقيقة ، التى أخفت هاتين الصفتين فى أعماقها ، وهى تلتصق بالحائط ، وتتطلّع إليهم فى تحدّ ، إلا أن تلك النظرة المتحدية لم تلبث أن ذابت فى أعماقها ، وتحوّلت إلى نظرة يأس ورهبة ، عندما وقع بصرها على (دون ڤادر) ، بزيه الأسود الرهيب ، وهو يقف بباب الزنزانة ، مع رجل ضئيل الحجم ، تطلّ القسوة من كل ذرة فى ملامحه الباردة ..

وأشار (دون ڤادر) بيده ، فدلف إلى الزنزانة آلىّ

عجيب ، يصدر عنه صوت أشبه بطنين سرب من النحل ، وامتلأت نفس (ليا) برعب شديد ، عندما خرجت من الآلة عدة أذرع ، لم تر لها مثيلًا من قبل ، وتذكّرت ما سمعته عن آلات التعذيب ، التى تختزن فى ذاكرتها المعدنية كل أنواع التعذيب الوحشى ، التى عرفها الجنس البشرى ، والتى يستخدمها الإمبراطوريون فى سجونهم ، ورأت (ڤادر) والحاكم (تاركين) يتطلعان إليها فى صمت ، وكأنما يتركان لها الوقت الكافى لإدراك طبيعة هذه الآلة الجهنمية ، واستيعاب هذا الكابوس البشع ، قبل أن يقول (تاركين) :

— والآن أيتها الأميرة (أورجانا) .. أين قاعدة الثوار الرئيسية ؟

تقدّمت الآلة نحوها فى بطء ..
وانطلقت صرختها ..
وكانت صرخة عذاب رهيبة ..
رهيبة بحق ..

* * *

٦ ــ الأشــرار ..

كانت سيارة (لوك) تنطلق عبر الصحراء ، عندما أشار (أوبى وان) إلى الجنوب الغربى ، قائلًا :

ــ انظر يا (لوك) .. هناك دخان .

ألقى (لوك) نظرة سريعة على النقطة ، التى يشير إليها (أوبى وان) ، وقال :

ــ لست أرى شيئًا .

قال (أوبى وان) :

ــ دعنا نذهب إلى هناك ، على أية حال ، فربّما وجدنا من يحتاج إلى مساعدتنا .

انحرف (لوك) بالسيارة ، إلى حيث يرى (أوبى وان) الدخان ، ولم يمض وقت طويل ، حتى رأى (لوك) الدخان الكثيف ، الذى شعر به (أوبى وان) من قبل ، ولم يكد يبلغ موضعه ، حتى امتلأت نفسه بالمرارة والاشمئزاز ..

كانت هناك أجساد عديدة محترقة ، وإلى جوارها زحافة الرمال الضخمة ، التى يمتلكها (الجاوا) ، وقد بدت أشبه بحوت أسود محترق ..

تقدّمت الآلة نحوها فى بطء .. وانطلقت صرختها .. وكانت صرخة عذاب رهيبة ..

وهبط الجميع من السيارة ، فى موضع المذبحة ، وقال (لوك) :

— يبدو أن سكان الرمال هم الذين فعلوا هذا ، فهناك آثار لأقدام (البانثا) .

انحنى (كنوبى) يفحص الآثار ، ثم اعتدل قائلًا :

— ألم تلحظ شيئًا غريبًا ، وسط هذه الآثار ؟

أجابه (لوك) على الفور :

— بالتأكيد ، فالآثار توحى بأن (البانثا) يسير فى أزواج ، فى حين يحرص سكان الرمال دائمًا على السير فى خط طولى متتابع ، حتى يعجز الناظر إليهم عن تحديد عددهم بدقة .

أضاف (كنوبى) :

— هناك أيضًا ما أصاب الزحافة ، والذى يعجز همج الرمال عن فعله .. فقط جنود الإمبراطورية يمكنهم هذا .

فحص (لوك) البقايا المتناثرة حوله ، وقال :

— إنها نفس القبيلة ، التى ابتاع منها عمى (آرتو) و (تريبيو) ، ولكن لماذا يقتل الإمبراطوريون كل هؤلاء ؟

قبل أن يسمع جوابًا لسؤاله ، امتلأت ملامحه بالقلق ، وتابع :

— يا إلهى !! .. لو أن الإمبراطوريين قد اقتفوا آثار (آرتو) و (تريبيو) حتى هنا ، فمن المحتم أنهم قد علموا من (الجاوا) من ابتاعهما ، وهذا يقودهم إلى ...

لم يتمّ عبارته ، وإنما هتف :

— يا إلهى !!

واندفع يجرى نحو سيارته الطائرة ، و (كنوبى) يصرخ من خلفه :

— انتظر يا (لوك) .. هذا بالغ الخطورة .

ولكن (لوك) قفز إلى سيارته ، وانطلق بها بأقصى سرعة ، تاركًا (كنوبى) و (تريبيو) و (آرتو) خلفه ، وسط المذبحة . ولم يكد يقترب من مزرعة عمه حتى هوى قلبه بين ضلوعه ، ولم يدر كيف أوقف سيارته أمام المنزل ، ولا كيف قفز منها ، وأسرع نحو تلك الفجوات السوداء ، التى تنبعث منها الأدخنة ، والتى كانت يومًا منزله ..

وعجز عن الاقتراب أكثر من مرة ..

كانت الحرارة والأدخنة تمنعانه ، وتملآن عينيه بالدموع ، وهو يصرخ :

— عمى (أوين) .. عمتى (بيرو) .

انطلق نحو المخزن ، الذى يشتعل بدوره ، وما أن اقتحمه حتى وقع بصره على جسدين متفحمين ، انهارت أعصابه لرؤيتهما ، فألقى نفسه على الرمال ، ودفن وجهه فيها ، وأطلق لدموعه العنان ..

لقد أدرك الآن قضيته الحقيقية ..

وأدرك الهدف ..

* * *

ملأت الشاشة الهولوجرافية حائط الحجرة الواسعة كله ، وهى تحمل صورة ثلاثية الأبعاد ، لجزء صغير من المجرّة ، يحوى مليون نظام نجمى ، فى وضوح شديد ، ووقف (دون قادر) يتطلع إليها ، وحوله الحاكم (تاركين) ، والأدميرال (موتى) ، والجنرال (تاج) ، وقد تناسى الجميع خلافاتهم ، فى هذه اللحظة الحاسمة ، وقال (موتى) :

— انتهى الفحص الأخير بنجاح ، والمحطة الآن جاهزة للعمل .

تجاهل (قادر) هذا القول تمامًا ، وغمغم فى خفوت ، وكأنما يتحدث إلى نفسه :

— ما زالت تقاوم .. ما زالت تملك أمر نفسها .

ثم التفت إلى (تاركين) ، وقال :

— لم ننتزع منها أية معلومة ذات أهمية ، حتى هذه اللحظة .

أجابه (تاركين) :

— لست أعتقد بصلاحية تلك الوسائل ، التى تستخدمها .

قال (قادر) فى خشونة :

— لقد أثبتت وسائلى صلاحيتها أكثر من مرة ، ولكننى أنتظر اقتراحاتك على أية حال .

قال (تاركين) :

— فى مثل هذا العناد ، يكون من الأفضل أن تهدّد شيئًا آخر يهمها أمره ، بدلًا من تهديدها هى .

سأله (قادر) :

— ماذا تعنى ؟

أجابه (تاركين) :

— إننا نحتاج إلى تجربة هذه المحطة الجديدة عمليًا ، وقد يُمكننا ضرب عصفورين بحجر واحد .

ثم التفت إلى (موتى) ، وقال فى حزم :

— مر رجالك بالتصويب على هدف واحد .

واكتسى صوته بصرامة مخيفة ، وهو يستطرد :

ـ على (آلدران) ..

ولم يتردّد (موتى) فى التنفيذ ..

* * *

عندما قفل (لوك) عائدًا ، إلى حيث ترك (كنوبى) والآليين ، كانت سيارته تسير هذه المرة فى بطء . وعندما أوقفها ظلّ جالسًا داخلها ، ولم يغادرها ، فأدرك (كنوبى) ما حدث بنظرة واحدة إلى وجه (لوك) ، وقال :

ـ إننى أشاطرك حزنك يا (لوك) ، ومن المؤكّد أنك لم تكن تملك ما تفعله لهم ، فلو كنت معهم لقاسمتهم مصيرهم . وكان الإمبراطوريون قد استعادوا (آرتو) .

قال (لوك) فى حسم :

ـ سأصحبك إلى (موسى أيزلى) .. أريد أن أذهب معك إلى (ألدران) .

وشرد بصره وسط الرمال ، الممتدة أمامه إلى ما لا نهاية ، وأضاف :

ـ أريد أن أصبح واحدًا من فرسان (الجيدى) مثل أبى .. أريد أن ..

ولكنه لم يستطع إتمام عبارته ..

لقد احتبست الكلمات فى حلقه ..

وفى قلبه ..

* * *

من السهل أن ينخدع أى قادم جديد من ميناء (موسى أيزلى) الفضائى ، فبالرغم من أنه يبدو صغيرًا من الخارج ، إلا أنه يمتدّ ــ فى الواقع ــ إلى مسافة واسعة تحت مستوى الأرض ، فى حين تبدو شوارعه من الخارج مزدحمة بالناس ، على عكس شوارع (أنكورهيد) ، بالرغم من الرياح الحارة ، ولكن كل مبانى (موسى أيزلى) مصمَّمة بحيث تتقى حرارة الشمسين الشديدة ، ومعظمها مزوّد بحوائط مزدوجة ، ينطلق داخلها تيار بارد ، على الرغم من شكلها الخارجى البدائى ..

وبينما يسير (لوك) بسيارته داخل شوارع (موسى أيزلى) ، بصحبة الآليين و (كنوبى) ، قال هذا الأخير :

ـ هذا الميناء الجوى يضمّ أسوأ نوعية من البشر ، لا تجد لها مثيلًا فى (تاتوين) كله ، وهى أفضل مكان يصلح لاختبائنا ، حتى نجد سفينة فضاء ، تنقلنا إلى (ألدران) .

لمح (لوك) فرقة من جنود الإمبراطورية أمامه ، وراوده خوف شديد ، كاد يحمله على القفز خارج السيارة ، والفرار عبر شوارع الميناء الفضائى ، لولا أن شدّ (كنوبى) على يده فى قوة ، فالتفت إليه (لوك) ، وهمّ بقول شىء ما ، إلا أن ابتسامة (أوبى وان) الهادئة بعثت بعض الطمأنينة فى نفسه ، فواصل طريقه فى بطء ، وهو يتمنّى أن يتخذ الجنود وجهة أخرى ، ولكن أحد الجنود أشار إليه بيده ، فلم يجد بدًّا من التوقُّف ، وعاوده قلقه ، وخاصة عندما راح المارة يتطلّعون إليه فى فضول ، وركّز الجنود اهتمامهم على (آرتو) و (تريبيو) ، وسأله قائدهم فى خشونة :

— منذ متى تمتلك هذين الآليين ؟

تردّد (لوك) لحظة ، ثم أجاب :

— منذ ثلاثة أو أربعة مواسم .

وأضاف (كنوبى) فى هدوء :

— ونحن نعرضهما للبيع ، لو أنكما ترغبان فى شرائهما .

لم يعره الضابط اهتمامًا ، وإنما انحنىَ يفحص السيارة فى عناية ، قبل أن يسأل :

— هل جئتما من الجنوب ؟

إلى ...

أجاب (لوك) فى سرعة :

— لا .. لقد أتينا من الغرب ، بالقرب من بلدة (بستين) .

كرّر الضابط :

— (بستين) !..

ثم دار حول السيارة ، يفحص مقدّمتها ، فى حين حاول (لوك) الفرار بنظراته بعيدًا ، حتى انتهى الضابط من فحص السيارة ، وعاد إلى (لوك) ، وسأله على نحو عدوانى :

— أين بطاقة هويتك ؟

تصوّر (لوك) أن الضابط قد انتبه إلى فزعه وارتباكه ، وكشف أمره ، وأدرك ما سوف يحدث ، عندما يطالع الضابط هويته و ...

وفجأة انتبه إلى بريق عجيب ، يطلّ من عينى (أوبى وان) ، وهو يتطلّع إلى عينى الضابط مباشرة ، ويقول فى هدوء عميق :

— أنت لا تحتاج لرؤية هويته .

تجمّدت نظرات الضابط ، وهو يكرّر ، وكأنما يردّد درسًا محفوظًا :

ـ لست أحتاج إلى رؤية هويتك .
وبلطف شديد ، همس (كنوبى) :
ـ هذان ليسا الآليين ، اللذين تبحثون عنهما .
كرّر الضابط :
ـ هذان ليسا الآليين ، اللذين نبحث عنهما .
همس (كنوبى) :
ـ يمكنه الآن أن ينصرف .
ردّد الضابط :
ـ يمكنك الآن أن تنصرف .

أسرع (لوك) يبتعد بسيارته عن فرقة الجنود ، وحاول أن يلقى سؤالًا ما على (كنوبى) ، إلا أن هذا الأخير هزّ رأسه وابتسم ، فابتلع (لوك) فضوله ، وواصل ابتعاده عن المكان ، وراح (أوبى وان) يقوده ، عبر الشوارع الضيقة ، وكأنه يحفظها عن ظهر قلب ، حتى بلغوا حيًا قديمًا ، تداعت مبانيه ، وامتلأت شوارعه بمخلوقات شتى ، من مختلف الكواكب والأجناس ، وأشار (كنوبى) إلى مقهى قديم ، أوقف (لوك) سيارته أمامه ، وقال وهم يغادرون السيارة :

ـ أظن أنه قد حان الوقت ، لأسألك عما فعلته بالضابط الإمبراطورى . فقد دار بخلدى لحظة ، أنه سيقتلنا جميعًا .

ابتسم (كنوبى) ، وقال :

ـ إنها القوة يا (لوك) .. القوة التى تكمن فى العقل ، ويمكن استخدامها أحيانًا ؛ للتأثير على الآخرين ، ولكن استعمالها دائمًا محفوف بالخطر .

هزّ (لوك) رأسه ، دون أن يفهم ، ثم لم يلبث أن تجاهل الأمر ، وسأل :

ـ أتظننا نجد فى هذا المقهى ملاحًا فضائيًا ، يقبل حملنا إلى (ألدوران) ؟

أجابه (كنوبى) :

ـ معظم ملّاحى الفضاء يجتمعون هنا ، ولكن احترس ، فستجد به الكثير من الأشرار .

ومن الداخل ، بدا الملهى معتمًا ، خافت الإنارة ، ربما لأن رواد هذا المقهى يكرهون ضوء الشمس ، أو لأنهم لا يرغبون فى أن يراهم أحد فى وضوح ..

وشعر (لوك) بدهشة بالغة ، وهو يدير عينيه فى رواد المقهى ..

كانوا مزيجًا من عدة جنسيات ..

بعضهم له عين واحدة ، والبعض الآخر له ألف عين ،

وهناك من تُغطّى جسده قشور وأصداف ، ومن يغطّيه الفراء ..

مجموعة مدهشة من سكان مختلف الكواكب ، اجتمعت كلها فى مقهى واحد ، تتردّد فيه أحاديث بمختلف اللغات المفهومة وغير المفهومة ..

وأشار (كنوبى) إلى ركن بعيد ، اجتمع فيه عدد من المخلوقات ، يتحدّثون ويضحكون فى صوت مرتفع ، وقال :

— إنهم قراصنة على الأرجح .. انتظرنى هنا يا (لوك) .

اتجه إليهم (كنوبى) ، وجلس يبادلهم الحديث ، فى حين فوجئ (لوك) بعملاق يمسك كتفه فى قوة ، ويشير إلى (آرتو) و (تريبيو) ، قائلاً فى غلظة :

— أنت يا هذا .. إننا لا نخدم الآليين هنا ، وعليهما أن ينتظرا فى الخارج ، فنحن نقدّم المشروبات فقط ، وليس زيوت الآلات .

ألقى (لوك) نظرة على (كنوبى) ، الذى بدا منهمكًا فى الحديث مع القراصنة ، ثم قال :

— حسنًا .. اصحب (آرتو) إلى الخارج يا (تريبيو) ، وانتظرا عند السيارة .

قال (تريبيو) ، وهو يطيع الأمر :

— كما تأمر يا سيّدى ، فلست أحتاج إلى الزيوت على أية حال .

شعر (لوك) بنظرات العداء ، فى عيون الجميع ، فعاد يتطلّع إلى (كنوبى) ، فرآه يتحدّث مع مخلوق ضخم ، أشبه بالغوريلا ، تبدو أسنانه الحادة كلما ابتسم ، وكانت عيناه الصفراوان تلتمعان كالزجاج ، وسط الفراء البنى الناعم ، الذى يكسو جسده كله ، فيما عدا حزام ما من الجلد ، يحيط بوسطه ، وتتدلّى منه أسلحة مختلفة ..

وكان من الواضح أن الجميع يخافون هذا الغوريلا ويخشونه ، فيما عدا (كنوبى) ، الذى يتحدّث معه بلغة عجيبة ، جعلت (لوك) يتساءل عن عدم اتجاه (أوبى وان) مباشرة إلى ملّاح فضائى معتمد ، إلا أنه لم يلبث أن طرح تساؤلاته جانبًا ، كما يفعل بكل ما يثير حيرته ، من أفعال وأقوال (أوبى وان) ، وجلس يحتسى شرابه فى صمت وهدوء ، حتى شعر بشىء يدفعه فى ظهره بخشونة ، فالتفت ليجد أمامه مخلوقًا عجيبًا ، ذا عيون عديدة ، وكان هذا المخلوق يتحدّث إليه فى سرعة وبكلمات لم يفهمها (لوك) ، وإن أدرك من تلعثمها

أن هذا المخلوق ثمل ، فتجاهله ، وأشاح بوجهه بعيدًا عنه ، إلا أنه فوجئ بشخص قصير ، يضع يده على كتف المخلوق المتعدِّد العيون ، ويقول :

ـــ إنك لا تعجبه .

أدرك (لوك) أن هذا القصير يحاول إشعال معركة ، فاكتفى بأن قال فى هدوء :

ـــ يؤسفنى هذا .

أضاف القصير فى حدة :

ـــ ولست تعجبنى أيضًا ، ولا يروق لى اعتذارك .. إنك رجل ميت .

التفت (لوك) ، ليجد أن جميع من بالمقهى قد تراجعوا ، والتفوا حوله وحول خصميه ، فى حلقة واسعة ، فى حين شهر خصماه فى وجهه أسلحة عجيبة ، لا يدرى حتى كنهها ، وسرت فى جسده موجة من التوتر ، قطعها صوت (أوبى وان) الهادئ ، وهو يقول :

ـــ لا ينبغى أن تتحدّيا هذا الفتى .. إنه أصغر من أن يواجهكما .. هيا .. إننى أدعو الجميع إلى شراب .

ولكن الوحش الضخم المتعدِّد العيون أطلق زمجرة وحشية مخيفة ..

وانقضّ على (لوك) ..

* * *

أصابت لكمة الوحش (لوك) ، وأطاحت به بعيدًا ، وأسقطته فوق مائدة ، هوت معه بكل ما تحويه ، وتعالت أصواتٌ محذِّرة ، عندما سحب الوحش مسدّسه من وسطه ، وصوّبه إلى (كنوبى) ، قائلًا :

ـــ بقى أن أزيحك أنت عن الـ ...

قاطعه عامل البار فى حدة :

ـــ ليس فى المقهى .

التفت الوحش إلى عامل البار ، صارخًا :

ـــ اصمت أيها الـ ...

ولكن (كنوبى) تحرَّك فى سرعة ، قبل أن يتمّ الوحش صيحته ..

وبضغطة على زر صغير فى حزامه ، انطلق من حلية الحزام شعاع أزرق ، قسم الوحش إلى نصفين ، وبتر ذراع صديقه ، وسقط الاثنان وسط بركة من الدماء ، وأسرع الجميع يتفرقون ، فى حين ظل (كنوبى) هادئًا ، وغمغم عامل البار فى سخط :

ـــ اللعنة .!

ثم أمر اثنين من رجاله برفع الجثتين ، وتنظيف المكان ، وكأنما لم يحدث شىء ، فى حين عاد الجميع إلى أحاديثهم وشرابهم فى بساطة ، وإن بدت نظرتهم إلى (أوبى وان) مختلفة ، على نحو أصاب (لوك) بدهشة بالغة ، جعلته يستجيب لإشارة (كنوبى) ، ويجلس إلى جواره فى صمت ، حيث قدّم له (كنوبى) الغوريلا الضخم ، قائلا :

— هذا (تشوباكا) .. مساعد ملّاح فضائى ، وسيأخذنا الآن لمقابلة الكابتن .

صمت لحظة ، ثم استطرد فى حزم :

— ومن يدرى ؟.. ربّما وجدنا وسيلة للخلاص .. ربّما .

* * *

انشغل (آرتو) بالحديث مع آلى آخر ، خارج المقهى ، فى حين وقف (تريبيو) إلى جوار سيارة (لوك) قلقا ، يحدّث نفسه ، قائلا :

— لماذا تأخرا هكذا ؟.. لقد ذهبا لاستئجار مركبة ، وليس أسطولا !

صمت بغتة ، وأشار إلى (آرتو) ينبهه إلى اثنين من جنود الإمبراطورية ، يدلفان إلى المقهى مع بشرى ، وقال :

— هذا مقلق يا (آرتو) .. مقلق للغاية .

فى هذه اللحظة كان (لوك) يدخل مع (كنوبى) و (تشوباكا) إلى مقصورة خاصة ، فى ركن المقهى ، يجلس داخلها رجل يكبر (لوك) بخمسة أعوام أو عشرة ، يبدو جريئًا شديد الثقة بنفسه ، ولقد تحدّث إليه (تشوباكا) بلغته ، فهزّ الرجل رأسه يحييهما فى لطف ، ثم قال :

— إنك شديد المهارة فى استخدام سلاحك أيها العجوز .. من النادر أن نرى شخصًا بمثل مهارتك هذه الأيام .. أنا (هان سولو) ، قائد السفينة الفضائية (فالكون) .. و (تشو) يقول إنكما ترغبان فى الإقلاع إلى (آلدران) .

أجابه (كنوبى) :

— هذا صحيح .

ثم استدرك فى حزم :

— هذا لو أن سفينتك سريعة بما يكفى .

أجابه (سولو) فى غضب :

— سريعة ؟!.. إنك لن تجد أسرع من (فالكون) ، فى المجرّة كلها .. حتى سفن الإمبراطورية تعجز عن اللحاق بها .

ثم هدأ بغتة ، وهو يستطرد :

ولكن ما حولكم بالضبط ؟

أجابه (كنوبى) :

ـ نحن فقط .. أنا وهذا الفتى ، واثنان من الآليين ، ونحن نكره الفضول وكثرة الأسئلة .

اعتدل (سولو) ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ لا أسئلة ؟!.. لماذا ؟.. أهناك مشكلة ما ؟

قال (كنوبى) فى حزم :

ـ يمكنك أن تقول إننا لا نريد مشاكل مع الإمبراطوريين .

صمت (سولو) لحظات ، وهو يتأمل (كنوبى) و (لوك) ، ثم قال :

ـ فى هذه الحالة سيكون الثمن أكبر .. عشرة آلاف ، دون فضول أو تساؤلات .

هتف (لوك) :

ـ عشرة آلاف ؟!.. إننا نستطيع شراء سفينة خاصة بهذا الثمن .

قال (سولو) فى حدة :

ـ ربما ، ولكن هل يمكنكما قيادتها بنفس المهارة ؟

أجابه (لوك) فى تحد :

ـ بالطبع ، فأنا طيار ماهر ، و ..

بتر عبارته ، عندما شعر بيد (كنوبى) تضغط ذراعه ، وسمع هذا الأخير يقول :

ـ لسنا نملك هذا المبلغ الآن ، ولكن يمكننا أن ندفع لك ألفين هنا ، وخمسة عشر ألفا أخرى ، عندما نبلغ (آلدران) .

سأله (سولو) :

ـ أيمكنك الحصول على مثل هذا المبلغ هناك ؟

أجابه (كنوبى) :

ـ بكل بساطة .. ثم إنك ستحصل على ألفين الآن .

قال (سولو) ، وكأنما يحدث نفسه بصوت مسموع :

ـ سبعة عشر ألفا !!.. لا بأس .. لقد قبلت ، أما بالنسبة لرغبتكم فى تجنب الإمبراطوريين ، فالأفضل أن تغادروا هذا المكان الآن ، وسنلتقى غدا ، عند المرفأ رقم أربعة وتسعين .

فى نفس اللحظة كان عامل البار يتحدث إلى الجنديين الإمبراطوريين ، ثم لم يلبث أن أشار لهما إلى المقصورة ، فاتجها إليها فى حزم ..

وحانت لحظة الخطر ..

* * *

٧ ــ الفرار ..

جلس (أرتو) فى المقعد الخلفى للسيارة ، فى حين وقف (تريبو) يراقب الطريق ، خوفًا من جنود الإمبراطورية ، وقال (كنوبى) :

ــ لو أن سفينة (سولو) سريعة ، كما يقول ، فمن المحتمل أن ..

قاطعه (لوك) :

ــ ولكن المبلغ ، الذى عرضته عليه ، ضخم للغاية يا (أوبى وان) .

هزّ (كنوبى) كتفيه ، وقال :

ــ لا يقلقنى أمر الخمسة عشر ألفًا ، التى سيتسلّمها ، فور وصولنا إلى (آلدران) ، ولكن مايقلقنى بالفعل هو مبلـغ الألفين .. أخشى أنك ستضطر إلى بيع سيارتك يا (لوك) .

كان (لوك) شديد التعلق بسيارته فيما مضى ، أما الآن فقد ذهب تعلّقه هذا ، مع الأشياء التى ذهبت ، والتى لم يعد يرغب فى تذكّرها ؛ لذا فقد قال ..

ــ لست أظننى أحتاج إليها الآن .

فى نفس اللحظة كان (سولو) و(تشوباكا) يجلسان فى

مقصورة أخرى ، داخل المقهى ، وكان (سولو) يضحك قائلًا :

ــ يالغباء هؤلاء الإمبراطوريين !! لقد غادرنا المقصورة جميعًا ، قبل أن يصلوا إليها .

أصدر (تشوباكا) صوتًا أشبه بالزمجرة ، وإن حمل رنة ضاحكة عجيبة ، فتنهّد (سولو) ، وقال متابعًا :

ــ لقد جاءت هذه الصفقة فى موعدها تمامًا يا(تشوى) ، وأراهنك أن هذين الرجلين فى مأزق حرج مع السلطات ، ولكننى لن ألقى أية أسئلة ..هيا إلى (فالكون) ، سنعدُّها للرحلة .

لم يكد يهمّ بالنهوض ، حتى سمع صوتًا من خلفه يقول :

ــ إلى أين يا (سولو) ؟

التفت (سولو) إلى صاحب الصوت ، الذى بدا فى حجم مخلوق بشرى ، له عينان كبيرتان ، رماديتا اللون ، وسط وجه شديد الصفرة ، ينبت فى جمجمة ضخمة ، كثيرة الأشواك ، وازدرد (سولو) لعابه ، وهو يقول :

ــ كنت فى طريقى لمقابلة رئيسك فى الواقع ، فلقد حصلت على النقود ، التى يدينني بها .

قال المخلوق فى غلظة :

التفت (سولو) إلى صاحب الصوت ، الذى بدا فى حجم مخلوق بشرى له عينان كبيرتان ، رماديتا اللون ..

ــ هذا ماسمعته منك أمس ، وأمس الأوّل ، والأسبوع الماضى .. والذى يليه ، ولن أعود إليه بقصة سخيفة جديدة .

قال (سولو) :

ــ ولكن النقود لدى بالفعل هذه المرة .

قال المخلوق فى حزم :

ــ حسنًا .. سآخذها الآن .

جلس (سولو) فى بطء ، وهو يتطلّع إلى أصابع المخلوق ، الذى يصوِّب إليه مسدّسه ، وقال :

ــ إنها ليست معى هنا .. اخبر (جابا) أن ..

قاطعه المخلوق :

ــ فات الوقت ..سيأخذ (جابا) سفينتك .

قال (سولو) فى غضب :

ــ سيكون عليه أن يقتلنى أوّلًا .

قال المخلوق فى استهتار :

ــ لست أظن هذا يضايقه ..والآن هل ستأتى معى ، أم أقتلك هنا .

ابتسم (سولو) ، وقال :

ــ لست أظنهم يرحبون بقتيل آخر هنا .

قهقه المخلوق ضاحكًا بصوت مختنق ، وقال :

— لا .. لن يقلقهم هذا .. إننى أتمنى لحظة قتلك منذ زمن ، و ..

وفجأة سطع ضوء مبهر فى المكان ، مع فرقعة عالية ، واختفى كل هذا فى لحظة واحدة ، وقد تلاشى عميل (جابا) ، ولم تبق منه سوى بقعة لزجة ، على أرض المقهى ..

وفى هدوء ، أخرج (سولو) يده من أسفل المائدة ، والدخان يتصاعد من سلاحه ، ثم نهض مغادرًا المقصورة ، وهو يقول :

— (جابا) يختار دائمًا عملاء فاشلين ، فليس من السهل قتلى .

ثم رمى رزمة نقدية إلى عامل البار ، وهو يقول :

— نظف المكان .

لم يحاول أحد الحاضرين اعتراضه ، وهو ينصرف ؛ لأنهم كانوا يدركون جميعًا أن عميل (جابا) قد أخطأ ، عندما سمح لـ (سولو) بالجلوس ، ويده مختفية تحت المائدة ..

كانت هذه شريعتهم ..

شريعة الغاب ..

* * *

لم تكد فرقة الجنود الإمبراطورية تتجاوز بابًا خشبيًا قديمًا ،

حتى فُتح الباب فى بطء شديد ، وظهر من فرجته وجه معدنى ، وغمغم (تريبيو) فى توتر :

— كان من الأفضل أن أذهب مع سيدى (لوك) ، بدلًا من الانتظار هنا معك .. لست أدرى ما المشكلة بالضبط ، ولكن من المؤكد أنك السبب فيها .

أطلق (آرتو) صفيرًا منغومًا ، فقال (تريبيو) فى حدة :

— كن مهذبًا .

فى نفس اللحظة كان (لوك) و (كنوبى) منهمكين فى مساومة رجل ، للحصول على سعر مناسب لسيارة (لوك) ، والجميع حولهم مشغولون فى عمليات مماثلة ، حتى انتهت المساومة ، فنقدهما الرجل الثمن ، وتسلّم السيارة ، وقال (كنوبى) :

— هذا المبلغ يكفى ، ولدى أيضا مبلغ للمصاريف .

غادرا الشارع الرئيسى ، واتجها إلى المرفأ الفضائى ، دون أن ينتبها إلى ذلك الذى يرصدهما ويتبعهما منذ زمن ..

لقد كان شبحًا ..

شبحًا أسود ..

* * *

أحاط (جابا) ورجاله بالسفينة (فالكون) ، التى

بدت أشبه بطبق طائر ، يقبع على الأرض ، وتقدم منها (جابا) ، وهو يهتف :

ــ اخرج يا (سولو) .. إننا نحيط بك من كل جانب .

أتاه صوت (سولو) من خلفه ، وهو يقول :

ــ عجبا !! .. كنت أظنك تنظر إلى الجهة العكسية .

قفز (جابا) ورجاله من أماكنهم ، واستداروا يواجهون (سولو) و (تشوباكا) ، و (سولو) يقول :

ــ إننى أنتظرك يا (جابا) ، فلست ممن يفرّون من خصومهم .

شعر (جابا) بالقلق أكثر ، عندما لاحظ أن (سولو) و (تشوباكا) غير مسلحين ، فلم يكن ذلك مألوفا ، وفضل هو اتخاذ الحذر ، حتى ينكشف الأمر ، وقال :

ــ ولماذا تلجأ إلى الفرار ياعزيزى (هان) ؟ .. إننى لست خصمك كما تقول .. إننى منزعج ؛ لأنك لم تعد إلىّ نقودى ، ولأنك قتلت عميلى فى عنف .. ألسنا أصدقاء .

قال (سولو) :

ــ ألهذا أرسلته لقتلى ؟!

تظاهر (جابا) بالدهشة ، وهو يهتف :

ــ قتلك ؟! .. ولماذا أفعل هذا ياصديقى ؟! .. إنك أفضل مهرّب فى الناحية ، ولايمكننى الاستغناء عنك أبدا .. لقد كان

عميلى يخبرك بتأخرك فى السداد فحسب ، ولم يكن ينوى قتلك أبدا .

قال (سولو) فى صرامة :

ــ فى المرة القادمة لاترسل أحد الأغبياء .. تعال بنفسك لمقابلتى .

اهتزّت وجنتا (جابا) ، وهو يهزّ رأسه ، متصنعا الأسف ، ويقول :

ــ لو أنك لم تلق بشحنة التوابل تلك يا (هان) !! .. ماذا يحدث لو أن كل طيار تخلص من البضائع ، فور ظهور سفينة حربية إمبراطورية ؟ ثم قال : إنه مفلس ، عندما أطالبه بسداد ثمنها ؟ .. ستكسد تجارتى وأفلس هكذا .. وأنا أعجز عن التسامح ، عندما أتعرّض للإفلاس .

قال (سولو) :

ــ أتظننى تخلصت من تلك التوابل ؛ لأننى كرهت رائحتها ؟ .. لقد أردت تسليمها لك ، ولكن مابالليد من حيلة .. اسمع .. لدى رحلة الآن ، ويمكننى أن أمنحك ألفا ، والباقى بعد ثلاثة أسابيع ، مع زيادة معقولة للفوائد .. مارأيك ؟

تفكّر (جابا) فى هذا العرض قليلا ، ثم قال لرجاله :

— حسنا .. اخفضوا أسلحتكم وتراجعوا يارجال .

والتفت إلى (سولو) ، مستطردًا :

— إننى أفعل هذا لأنك أفضل الجميع ، ولأننى أحتاج إليك يا (سولو) ، ثم إننى صاحب روح عالية ، وقلب متسامح ، فى مقابل فوائد قدرها عشرين فى المائة من المبلغ ، ولكن حذار أن تخدعنى مرة أخرى ، وإلا فسأضع ثمنًا مرتفعًا لرأسك ، يمنعك من الاقتراب من هذه المجرة طيلة عمرك .. هل تفهمنى ؟

قال (سولو) :

— لاتقلق يا (جابا) .. سأدفع لك المبلغ .. ليس بسبب تهديدك السخيف هذا ، وإنما لأن هذا يُسعدنى .

ثم أشار إلى (تشوباكا) ، واتجه الاثنان نحو (فالكون) .. وبدأت جولة جديدة ..

* * *

أسرع قائد السفينة الإمبراطورية الخطا ، محاولا اللحاق بخطوات (دون فادر) الواسعة ، وهو يلهث قائلا :

— التقارير التى وصلتنا تقول : إننا قاب قوسين أو أدنى ، من الآليين ياسيدى ، وإننا سنوقع بهما قريبًا .

قال (فادر) ، وهو يفكِّر فى عمق :

— ابذل أقصى جهدك ؛ لاستعادة الآليين ، فالأميرة تقاوم

بهذه الضراوة ، بأمل نجاح الآليين فى الفرار منها ، والاستفادة بالمعلومات التى لديهما ضدنا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

— وحتى ذلك الحين سننفذ معها خطة الحاكم (تاركين) . ولنر ماذا يكون .

كانت كلماته تقطر وحشية ..

وغضبا ..

* * *

قال (لوك) ، وهو يشير إلى السفينة (فالكون) :

— هاهو ذا المرفأ رقم أربعة وتسعين ، وهاهو ذا (تشوباكا) يشير إلينا فى توتر ، ولكن انظر إلى السفينة .. إنها قطعة من الخردة .. لن يمكنها الطيران الى الفضاء الخارجى ، فما بالك بالسفر إلى (ألدران) ؟

لم ينتبه إلى ذلك الشبح الأسود ، الذى يتبعهما منذ فترة ، والذى أخرج من طيات ثيابه جهازًا لاسلكيًا ، راح يتحدث عبره ، فى حين اقترب منهما (سولو) ، الذى بدا معتادا على ذلك الانطباع السيئ ، الذى تحدثه سفينته فى النفوس ، وهو يقول فى بساطة :

دعك من المظهر ، فهذه السفينة يمكنها الانطلاق بسرعة الضوء ، ولقد أجريت عليها بنفسى عدة تعديلات ؛ ليمكنها المناورة فى الفضاء ، وهى الآن من أفضل السفن المقاتلة .

هرش (لوك) رأسه ، وهو يحاول رؤية السفينة بعين صاحبها بلا جدوى ، ثم تذكّر كلام (كنوبى) ، ورأيه فى عدم الحكم بالمظاهر ، فلاذ بالصمت ، ولكن فجأة رأى (تشوباكا) يندفع نحو (سولو) ، ككتلة من الفراء الطائر ، وأخذ يتحدّث إليه فى انفعال شديد ، و (سولو) يتطلّع إليه فى هدوء ، ويومئ برأسه بين حين وآخر ، ثم أجابه بكلمة مقتضبة ، بلغة (تشوباكا) ، فأسرع هذا الأخير إلى السفينة ، وهو يشير إليهم باتباعه ، فى حين قال (سولو) بنفس الهدوء :

— يبدو أننا سنضطر للرحيل فى سرعة .

— أسرع الجميع إلى داخل السفينة ، وحشر (تشوباكا) نفسه فى كرسى ضخم ، أمام لوحة القيادة ، وراحت أصابعه تتحرّك بسرعة مذهلة فوق الأزرار ، وأسرع (لوك) و (كنوبى) يربطان نفسيهما فى مقعدين ، وهدير المحركات يرتفع ، فى حين خرج الشبح الأسود من مكمنه ، خارج

المرفأ ؛ ليستقبل فرقة من الجنود ، من ثمانية أفراد ، وتحدّث إلى قائدها ، فرفع الجنود أسلحتهم ، وفتحوا نيرانها على السفينة (فالكون) ، فصرخ (سولو) :

— أخرجنا من هنا بسرعة يا (تشوى) .

وتعالى هدير محركات (فالكون) ، واندفعت إلى الفضاء ، وقائد الجنود يهتف فى جهازه اللاسلكى :

— إنهم يفرّون .. أرسلوا الطائرات المحاربة خلفهم .

وقبل أن يتم كلمته ، كانت (فالكون) قد أصبحت نقطة مضيئة فى الفضاء ..

الفضاء البعيد ..

* * *

حلّ (لوك) و (كنوبى) أحزمة النجاة ، ومرّ (سولو) أمامهما بخطواته السريعة الواثقة ، واحتل مقعد القيادة إلى جوار (تشوباكا) ، وراح يقرأ الأرقام التى تنقلها الشاشة أمامه . وأشار إلى عدة نقاط تتحرّك على شاشة الرادار ، وقال :

— إنها ثلاث سفن مقاتلة .. من المؤكّد أن هناك من لا يحب مسافرينا .. على أية حال ، تعامل معها كما ينبغى ، وسأضع برنامجا للقفز إلى سرعة الضوء .

— وقف (آرتو) خلف (سولو) ، يراقب ما يفعله بالكمبيوتر أمامه ، وراح (تاتوين) يبتعد فى سرعة ، ولكنها لم تكن سرعة كافية للفرار ، من المقاتلات الإمبراطورية الثلاث ، والتفت (سولو) إلى (كنوبى) و (لوك) ، اللذين دلفا إلى كابينة القيادة ، وقال :

— لدينا مقاتلتان أخريان ، قادمتان من زوايا مختلفة .. إنهم يحاولون محاصرتنا ، قبل أن نقفز إلى سرعة الضوء .. ماذا فعلتما لإثارتهم على هذا النحو ؟

— تجاهل (لوك) السؤال تمامًا ، وهو يقول :

— ألا يمكنك الفرار منها ؟ .. ألم تقل إن (فالكون) هذه سريعة للغاية ؟

قال (سولو) فى حدة :

— لا تتحدَّث إلَىَّ هكذا يا فتى ، وإلا وجدت نفسك تسبح فى الفضاء .. إننا نواجه خمس مقاتلات إمبراطورية ، ولكننا سننجح فى الفرار ، عندما نقفز إلى سرعة الضوء ، ثم إننى أعرف بعض الخدع ، التى ستدفع اليأس فى نفوسهم .

ثم ابتسم لنفسه ، مستطردًا :

— ويا ليتنى عرفت أنكم مطلوبون إلى هذا الحد !

سأله (لوك) فى تحدٍّ :

— هل كنت سترفض اصطحابنا ؟

قال (سولو) :

— ليس بالضرورة ، ولكن من المؤكَّد أننى كنت سأطالب بزيادة المبلغ المتفق عليه .

كاد (لوك) ينطق شيئًا ما ، ولكن الفضاء تألَّق أمامه بضوء أحمر مبهر ، جعله يحجب عينيه بكفيه ، وكذلك فعل الجميع ، وهتف (سولو) :

— إنها قنبلة إمبراطورية ، لم تصب سفينتنا لحسن الحظ .. لقد أصبح الموقف طريفًا مسليًا .

سأله (كنوبى) فى هدوء ، وكأنما الأمر لايعنيه قط :

— متى يمكننا القفز ؟

أجابه (سولو) :

— عندما يشير الكمبيوتر إلى هذا ، فمازلنا فى نطاق جاذبية (تاتوين) .. صحيح أننا نستطيع القفز إلى سرعة الضوء ، دون انتظار تعليمات الكمبيوتر ، ولكن هذا بالغ الخطورة ، فقد تتفتَّت عجلة القيادة ، أو تخترق نجمًا ، أو ثقبًا أسود ، وتنتهى رحلتنا عند هذا الحد .

توالت الانفجارات الحمراء حول السفينة ، و (سولو)

يناورها فى مهارة ، حتى أضيئت شاشة الكمبيوتر ، فقال :

ـــ من الأفضل الجلوس الآن ، فقد حانت اللحظة .

اتخذ الجميع أماكنهم ، وغمغم (ترييو) فى حنق :

ـــ أكانت هذه الرحلة ضرورية ؟ .. إننى أكره دائمًا السفر فى الفضاء .

وفى نفس اللحظة بدأ الكمبيوتر برنامجه ..

وانطلقت السفينة بسرعة الضوء ..

* * *

دخل الأدميرال (موتى) إلى حجرة الاجتماعات ، وتطلّع إلى حيث يقف الحاكم (تاركين) ، أمام الشاشة المستديرة ، وانحنى أمامه قليلًا وقال :

ـــ لقد دخلنا مجال (ألدران) ، وننتظر تعليماتك .

التفت إليه (تاركين) ، دون أن يتحدّث ، وضغط جرسًا أمامه ، فدخل اثنان من الجنود إلى القاعة ، يحرسان الأميرة (ليا) ، وخلفها (دون فادر) ، وواجهها (تاركين) ، قائلًا :

ـــ أنا ..

قاطعته فى سرعة :

ـــ أعرف من أنت .. أنت الحاكم (تاركين) .. لقد عرفتك من رائحتك الكريهة ، فور دخولى .

قال (تاركين) ، محاولًا إخفاء غيظه :

ـــ إنك جذابة فاتنة حتى النهاية .. لايمكنك أن تدركى كم كان من الصعب علىّ إصدار أمر باعدامك . ولكنك لو كنت قد تعاونت معنا ، لاختلفت الأمور حتما .. لقد أخبرنى (دون فادر) أنك مازلت صامدة ، أمام أساليبنا التقليدية فى الاستجواب .

قالت فى حدة :

ـــ تقصد فى التعذيب؟ لقد أدهشنى أن تمتلك الجرأة على إصدار ذلك الأمر على مسئوليتك .

تنهّد (تاركين) ، قائلًا :

ـــ إننى رجل يقدّس العمل ، ويستمتع قليلًا جدًا بالحياة . ويسعدنى ـــ قبل إعدامك ـــ أن أدعوك لحفل صغير ، نختبر فيه قوة هذه المحطة الحربية ، ونعلن بداية عهد جديد ، من عهود التفوق التكنولوجى الإمبراطورى .. إن هذه المحطة هى همزة الوصل ، التى ستربط مليون مجرة سماوية بالإمبراطورية ، ولن نبالى بعدها باتحادكم الثورى ، فبعد العرض ، الذى ستشاهدينه الآن ، لن يجرؤ مخلوق واحد على معارضتنا .. حتى مجلس النبلاء .

أجابته (ليا) فى احتقار :

— لايمكنكم توحيد الإمبراطورية بالقوة ، فالقوة لن تؤدى إلا إلى ثورة المجرات الأخرى .. إنك رجل غبى يا (تاركين) .

قال (تاركين) فى حدة :

— سيسرّنى كثيرًا رؤية الوسيلة ، التى سيعدمك بها (فادر) ، ولكننى سأريك ماسأفعله أوّلًا .. لقد رفضت إخبارنا بمكان معقل الثوّار .. فليقاس (ألدران) بدلًا منه إذن .

هتفت (ليا) :

— لا .. لايمكنك هذا .. إن (ألدران) كوكب مسالم ، بلا جيش ، أو ..

قاطعها (تاركين) ، وهو يقول بعينين لامعتين :

— أتفضلين مكانًا آخر ؟ .. أين معقل الثوّار إذن ؟

هتفت (ليا) :

— فى (دانتوين) .. إنهم فى (دانتوين) .

ابتسم (تاركين) فى ظفر ، وقال لـ (فادر) :

— أرأيت كيف تمكنك انتزاع ماتشاء .. لو استخدمت الوسيلة المناسبة ؟

ثم التفت إلى قائد المحطة ، مستطردًا فى حزم :

— أتموا عملكم هنا ، ثم نذهب إلى (دانتوين) .. هيا .. ابدأ .

مضى بعض الوقت ، قبل أن تعى (ليا) مايعنيه هذا ، فصاحت فزعة :

— ولكن لماذا ؟

أجابها (تاركين) فى برود :

— (دانتوين) بعيد ، ونحن نحتاج إلى هدف فى قلب الإمبراطورية ، ليُحدث تدميره الأثر المطلوب .

هتفت (ليا) فى مرارة :

— ولكنك قلت :

قهقه (تاركين) ضاحكًا ، وقال :

— أنا لم أقل شيئًا .. هيا .. اصحبوها إلى مركز المراقبة ، ودعوها تشاهد ماسيحدث جيدًا .

وأطلقت المحطة أسلحتها على الهدف ..

على (ألدران) ..

* * *

٨ ـ السقوط ..

أطلق (سولو) ضحكة عالية ، بعد أن انتهى من قراءة أجهزته وعداداته ، ثم التفت إلى الآخرين ، قائلًا :

ــ لاداعى للقلق الآن .. لن يتمكّن الإمبراطوريون من تتبعنا ، أو حتى معرفة مكاننا .. ألم أقل لكم إنه لاداعى للقلق .

لم يعلّق أحدهم على قوله ، فاستطرد فى استياء :

ــ ألا أسمع كلمة شكر واحدة ؟! .. إننى سأضطر إلى تزوير رخصة طيران جديدة ، بعد مافعلناه بالمقاتلات الإمبراطورية .

اكتفى (كنوبى) بهزة من رأسه ، فى حين التمعت عينا (تشوباكا) ، وتوهّجتا فى سرور ، إلا أن (آرتو) مدّ يده الطويلة ، وعبث بأحد أزرار الكمبيوتر ، فانفجر (تشوباكا) غاضبًا ، وانهال عليه بسيل من الشتائم غير المفهومة ، ودخل معهما (تريبيو) فى نقاش حاد ، فتنهّد (سولو) فى ضجر ، وراح يتطلّع إلى (لوك) ، الذى يقف رافعًا سلاحه فوق رأسه ، و(كنوبى) يوجّهه ، ويشرح له طريقة استخدامه ، وهو يقول فى لطف :

ــ لا يا (لوك) .. حاول أن تجعل حركتك انسيابية خفيفة ، وتذكّر أن القوة تحيط بك ، وتشعّ من داخلك فى الوقت ذاته ، وفرسان (الجيدى) يشعرون بالقوة ، وكأنها شىء ملموس .

ابتسم (سولو) فى سخرية ، فى حين سأل (لوك) (كنوبى) فى اهتمام :

ــ أهى مجال للطاقة إذن ؟

أجابه (كنوبى) :

ــ إنها أكثر من مصدر للطاقة ، فهى قوة لانراها ، ولكنها تحكم بعض مشاعرنا ، ولم ينجح مخلوق واحد فى فهم كنهها حتى اليوم ، وربما لن ينجح أحد أبدًا .. ولكن دعنا من هذا ، ولنحاول مرة أخرى .

ثم رمى كرة صغيرة ، فى حجم قبضة إنسان ، تخرج منها أشواك رفيعة جدًا ، فتوقّفت الكرة فوق رأس (لوك) ، وراحت تدور حوله ، وتهاجم (لوك) من زوايا شتى ، وكلما استدار ليواجهها ، توقّفت على بعد متر منه ، ثم هاجمته من جديد ، حتى نجحت فى لدغه بأشواكها ، فسقط أرضًا ، وانفجر (سولو) ضاحكًا ، وقال :

ــ السحر والشعوذة لن يجدياك أبدًا .

سأله (لوك) ، وهو ينهض :

ــ ألا تثق فى القوة ؟

هزّ (سولو) كتفيه ، وقال :

ـ لقد أمضيت عمرى فى الترحال من مجرة إلى أخرى ، ولكننى لم أر شيئًا يحمل هذا الاسم ، ولاتتبع هذا العجوز كالأعمى ، فقد يستغلك لأغراض فى نفسه .

ابتسم (كنوبى) فى هدوء ، وقال :

ـ هيا نحاول مرة أخرى يا (لوك) ، وحاول أن تفصل تفكيرك عن غريزتك .. اترك القوة داخلك تقودك ، وامنع نفسك عن التفكير ، عندما تقاتل ، فالعين قد تخدع ، ولكن القلب أبدًا لايخدع .

كان (لوك) يستمع إليه كالمسحور ، عندما تسلّلت الكرة ذات الأشواك الرفيعة من خلفه ، ودون أن يراها (لوك) ، أو حتى يسمع لها صوتًا ، دار على عقبيه فى سرعة مذهلة ، وأصابها بسلاحه فى ضربة واحدة ، فتوقّفت فى موضعها ، ونظر إليها (لوك) فى دهشة ، فى حين قال (كنوبى) :

ـ أرأيت ؟ لقد نجح قلبك ، فيما فشلت فيه عيناك .. والآن عليك أن تتعلّم كيف تستحضر القوة ، عندما تريدها .

ثم أحضر قناعًا مغلقًا ، وضعه على رأس (لوك) ، الذى لم يعد يرى شيئًا ، فقال :

ـ وكيف يمكننى إصابة هدف لا أراه ؟

قال (كنوبى) فى هدوء :

ـ لقد فعلت من قبل .

أجابه (لوك) فى توتر :

ـ ستصيبنى مرة أخرى .

ـ ليس إذا وثقت بقدرتك .

كيف ؟

ـ دع الأمور تسير فى مجراها ، ولاتقاومها .

قالها وضغط زر الكرة مرة أخرى ، فعادت تهاجم (لوك) ، الذى حاول ضربها بسلاحه ، دون أن يراها ، إلا أن سرعته لم تكن كافية ، فأصابته الكرة بشعاع أحمر ، جعله يُطلق صرخة ألم ، وقال (كنوبى) :

ـ استرخ وتحرّر .. إنك تحاول استخدام عينيك وأذنيك .. لاتفعل هذا ، وأطلق العنان لغريزتك .

تجمّد (لوك) فى مكانه ، واندفعت الكرة نحوه مرة أخرى ، فالتفت إليها ، ونجح فى إصابتها هذه المرة ، ثم سأل فى اهتمام :

ـ هل نجحت ؟

أجابه (كنولى) مبتسمًا :

ـ لقد أخبرتك أنك تستطيع هذا ، عندما تثق بشعورك الداخلى .

غمغم (سولو) :

ـ إننى أسمى هذا حظًّا .

قال (كنولى) :

ـ لايوجد شىء اسمه الحظّ .

هزّ (سولو) كتفيه ، وقال :

ـ التصرّف مع كرة معدنية يختلف ، عن التصرّف مع شخص حىّ .

فى هذه اللحظة انبعث ضوء متقطّع من الشاشة ، ونادى (تشوباكا) على (سولو) ، الذى قال :

ـ إننا نقترب من (ألدران) ، وسنبطئ سرعتنا تدريجيًّا .

لم يكن (لوك) يهتمّ كثيرًا بالوصول إلى (ألدران) ، وإنما قال فى خفوت :

ـ أتعلم أننى شعرت وكأننى أرى الكرة بالفعل ، وهى تهاجمنى .

أجابه (كنولى) فى صوت جاد :

ـ لقد خطوت خطوتك الأولى ، نحو كون جديد .

كانت السفينة تهتز اهتزازًا عنيفًا فى هذه اللحظة ، وقد أحاط بها وهج أحمر رهيب ، فاندفع (لوك) إلى كابينة القيادة ، وسأل (سولو) فى قلق :

ـ ماذا يحدث ؟

أجابه (سولو) :

ـ لقد انخفضت سرعتنا فجأة ، ولكننا نواجه أسوأ عاصفة فلكية رأيتها فى حياتى ، وطبقًا للأجهزة ، نحن نسير فى الطريق السليم ، وهناك شىء واحد لانجده .

صمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ (ألدران) .

سأله (لوك) فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه (سولو) :

ـ سل الآلات .. لقد اختبرت الأجهزة ثلاث مرات ، وحصلت على نفس النتيجة .. لقد اختفى (ألدران) من خريطة الكون ، ولايوجد فى موضعه سوى حطام ..

وحسم الأمر وهو يستطرد :

ـ لقد تحطّم (ألدران) تمامًا .

هتف (لوك) فى ذهول :

ـ إنك تتحدّث عن كوكب كامل ، كيف .. ؟

قاطعه صوت (كنولى) من خلفه يقول :

ـ إنها الإمبراطورية .

قال (سولو) فى مرارة :

— أمر فظيع أن تقوم سلطة بشرية بإفناء شعب كوكب كامل .. ولكن كيف ؟ .. الأسطول الإمبراطورى كله يعجز عن هذا .. إنه يحتاج إلى قوة ضاربة لامثيل لها .

انطلق فجأة أزيز من شاشة الرصد ، وظهرت فوقها نقطة مضيئة ، وقال (سولو) :

— هناك سفينة تقترب .

قال (لوك) :

— ربما هى سفينة ناجية و ..

قاطعه (كنوبى) فى حسم :

— إنها مدمِّرة إمبراطورية .

زمجر (تشوباكا) ، عندما دوى انفجار شديد فى الفضاء ، اهتزَّت له السفينة ، فصاح (لوك) :

— لقد تبعتنا .

قال (سولو) فى حدة :

— مستحيل أن تتبعنا من (تاتوين) !

راقب (كنوبى) شاشة الجهاز ، وقال :

— إنها مقاتلة من طراز (تاى) ، ذات المدى القصير .

هتف (سولو) فى دهشة :

— ولكن من أين أتت ؟

ولكنه لم يلبث أن طرح تساؤله هذا جانبًا ، وقال لـ(تشوباكا) :

— اتبعها يا(تشوى) ، ولاتتركها .

تطلَّع الجميع إلى الشاشة فى صمت ، ثم ظهر أمامهم فجأة نور مبهر ، يقترب منهم فى سرعة مدهشة ، كما لو كان شمسًا ضخمة ، فقال (سولو) :

— من المستحيل أن تنطلق مقاتلة صغيرة بهذه السرعة ، وطبقًا للأطلس الفضائى ، لاتوجد أقمار لـ (آلدران) .. من المؤكد أنه توجد قاعدة فضائية للإمبراطورية هنا .

وفجأة ظهرت أمامهم المحطة الفضائية الإمبراطورية الهائلة ، فهتف (سولو) :

— ياإلٰهى !! .. لم أتصوَّر أبدًا وجود محطة فضائية بهذه الضخامة ، من المستحيل أن ..

قاطعته فجأة صيحة من (كنوبى) ، الذى راح يهتف فى توتر ، وعلى نحو لم يعهده فيه أحد من قبل :

— توقَّف يا (سولو) .. ارجع بسرعة .. فلنخرج من هنا .

لم تكن لهجته تسمح بالنقاش ، فالتفتَ (سولو) إلى

(تشوباكا) فى سرعة ، وقال :

ـ هيا .. فلنخرج من هنا .

حاول (تشوباكا) أن يبتعد عن المحطة ، ولكن (فالكون) راحت تهتزّ فى قوة ، كما لو كان هناك مايقيدها ، وزمجر (تشوباكا) فى توتر ، فقال (سولو) :

ـ أطلقها بأقصى قوتها يا (تشوباكا) .

كانت أجهزة (فالكون) تعمل بأقصى قوتها بالفعل ، ولكن المحطة الإمبراطورية راحت تكبر وتتضخم ، حتى ملأت السماء كلها ، وتطلّع إليها (لوك) فى هلع ، وهو يقول :

ـ لماذا نطير نحوها ؟

همس (كنوبى) :

ـ لافائدة .

فى حين قال (سولو) :

ـ إننا محبوسون داخل شعاع جاذب ، لم أر مثيلًا لقوته من قبل .. كل الأجهزة تعمل ، ولكن دون فائدة ، وسأضطر لإيقافها ، قبل أن تحترق .

ثم أردف فى صرامة :

ـ ولكنهم لن يأخذونا دون قتال .

ولكن (كنوبى) وضع يده على كتفه ، وقال :

ـ لاتبدأ حربًا تعجز عن الانتصار فيها .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ابتلعت المحطة (فالكون) .. وأغلقت أبوابها خلفها ..

* * *

وقف (فادر) يتطلّع إلى خريطة المجرة الهائلة ، التى لم تتغيّر كثيرًا ، باختفاء (ألدران) ، الذى لم يكن أكثر من نقطة ميكروسكوبية صغيرة عليها ، وإن كان (فادر) يشعر أنه لو نجح فى تنفيذ خطته ، لتغيّرت هذه الخريطة تغيّرًا جوهريًّا ، ويدرك أن (تاركين) و(موتى) ، اللذين يتحدّثان إلى جواره كالقرود ، لايمكنهما تصوّر مايسعى لتحقيقه ، ولكن ماذا ينتظر من شخصين محدودى الذكاء إلى هذا الحد ؟ وكيف يمكنه مقارنتهما به ؟..

باللورد الأسود ..

إنه فقط يستفيد من شرورهما وخطورتهما ، حتى يأتى اليوم الذى يزيحهما فيه عن طريقه ، كما فعل بـ(ألدران) ..

والتفت (فادر) إلى (تاركين) و (موتى) ، وشاركهما حديثهما ، قائلًا :

ـ إن نظام (ألدران) الدفاعى يماثل أى نظام آخر ، فى كواكب الإمبراطورية ، مما يعنى أننا قد نجحنا تمامًا .

هزّ (تاركين) رأسه موافقًا ، وقال :

ـــ بالتأكيد .. سنبلغ مجلس النبلاء ، وسنعدّ العدة للقضاء على معقل الثوار بالوسيلة نفسها ، ومادمنا قد دمرنا مركز إمداد الثوار بالأسلحة والذخائر ، وأقصد (ألدران) ، فلن تقوم للثوار قائمة بعد الآن .

لم يكد يتمّ حديثه ، حتى دخل أحد ضباطه إلى القاعة ، وبدا شاحب الوجه ، وهو يقول :

ـــ سيّدى الحاكم .. لقد هاجمت قواتنا (دانتوين) ، ولكنها لم تجد هناك سوى بقايا قاعدة ثورية ، يبدو أنها قد هُجرت منذ زمن طويل .

احتقن وجه (تاركين) فى شدة ، وهتف محنقًا :

ـــ لقد خدعتنا الأميرة اللعينة .

أخفى قناع (فادر) ابتسامته ، وهو يقول :

ـــ لقد سبق أن أخبرتك أنها لن تخون الثورة أبدًا ، مالم تتصوّر أنها تستطيع القضاء علينا بوسيلة ما .

صاح (تاركين) :

ـــ أعدموها على الفور .

قال (فادر) :

ـــ اهدأ يا (تاركين) .. إنك بهذا تقطع صلتنا الوحيدة

بالثوار .. إننا نستطيع الاستفادة من الأميرة .

صاح به (تاركين) :

ـــ كيف ؟ .. أنت نفسك قلت : إنه لاسبيل لدفعها إلى الكلام .. إننى سأبحث عن معقل الثوّار هذا ، حتى لو ..

قاطعه صوت جهاز اللاسلكى ، يقول :

ـــ لقد أسرنا سفينة فضائية صغيرة ، كانت تحاول بلوغ (ألدران) ، ويبدو أنها نفس السفينة ، التى هربت من قبل ، من (موسى أيزلى) ، فهى من نفس الطراز ، وتحمل نفس العلامات .

نظر (تاركين) إلى (فادر) فى حيرة وسأله :

ـــ مامعنى هذا ؟

أجابه (فادر) :

ـــ معناه أننا بسبيلنا إلى إنهاء آخر مشكلاتنا ، فيبدو أن من حصلوا على التسجيلات يحاولون الاتصال بالأميرة (ليا) .. وسنعاونهم على هذا .

لم يدرك (تاركين) مايعنيه (فادر) ، إلا أنه غمغم فى توتر :

ـــ حسنًا .. سأترك لك العملية كلها .

ومرة أخرى أخفى قناع (فادر) ابتسامته ..

لحسن الحظ ..

* * *

وقفت (فالكون) فى ميناء المحطة الإمبراطورية ساكنة ، يحرسها ثلاثون جنديًا ، حتى وصل (فادر) ، بصحبة أحد القادة ، فقال له ضابط الجنود :

ــ لم نتلق ردًّا من السفينة ياسيِّدى .

أجابه (فادر) فى اقتضاب :

ــ اقتحموها .

تقدّم الجنود نحو السفينة ، فى تشكيلات ثلاثية حذرة ، وانتشروا داخلها ، وتعالى وقع أقدامهم ، داخل ممراتها وحجراتها الخالية ، ثم أعلن الضابط أن السفينة خالية تمامًا ، وأن ملاحيها قد غادروها مسبقًا ، وتركوا للقيادة الآلية مهمة توجيهها إلى (ألدران) ، فسأله (فادر) :

ــ أهناك أى آليين ؟

جاءه الجواب :

ــ لاشىء مطلقًا ياسيِّدى .

قال فى حزم :

ــ هذا لايبدو مقنعًا .. أرسلوا أجهزة الكشف إليها .. أريد فحص كل سنتيمتر منها .. وافعلوا هذا بأقصى سرعة .

ثم انصرف محنقًا ، وصرف الضابط جنوده ، وانصرف خلفهم ، وترك الجميع السفينة وحدها ..

وبعد برهة ، تحرّك جزء من أرضية السفينة ، وبرز منه رأسا (لوك) و (سولو) ، وتلفّتا حولهما ، للتأكد من خلو السفينة ، ثم قال (لوك) ..

ــ من حسن الحظ أن سفينتك تحوى مثل هذا المخبأ .

قال (سولو) :

ــ أين كنت تظننى أخفى البضائع ، التى أقوم بتهريبها ؟

ثم تنهّد وأضاف :

ــ ولست أدرى كيف سيمكننا النجاة من هنا ، مع وجود هذا الشعاع الماص ، و .. برز رأس (كنوبى) من حفرة أخرى ، وهو يقول :

ــ دع لى هذا .

فى نفس الوقت ، كان اثنان من الفنيين يقفان أمام حارسى الممر ، وأحد الحارسين يقول لهما فى ضجر :

ــ هاهى ذى السفينةُ ، افحصا كل شبر منها ، وأخبرانا إذا وجدتما شيئًا .

دخل الفنيان إلى السفينة ، وهما يحملان معداتهما الثقيلة ، وبعد لحظات سمع الجنديان جلبة داخل السفينة ، أعقبها صوت يقول :

ـ أيمكنكما الحضور لمساعدتنا ؟

هزَّ الجنديان رأسيهما ، وتعجّبا من سخافة الفنيين ، ثم دلفا إلى السفينة ، وهنا حدثت جلبة مماثلة ، دون أن يسمعها أحد هذه المرة ..

ومن حجرته ، لمح الضابط المنوب خلو منطقة الحراسة من الجنديين ، فاتجه إلى مكبر الصوت ، وقال :

ـ (تى اتش اكس) .. لماذا تركتما موقعكما ؟

لم يتلق جوابًا لدقيقة كاملة ، فتسلّل القلق إلى نفسه ، وهم بتكرار النداء ، إلا أنه لمح جنديًا يخرج إلى الممر ، ويشير إلى خوذته ، إشارة تعنى أن جهاز الاتصال لديه معطّل ، فهزّ الضابط رأسه فى حنق ، وقال :

ـ أجهزة الاتصال لدينا سيئة للغاية .

فتح باب حجرته ، ليذهب إلى حيث الحارس ، ولكنه لم يكد يفعل حتى تراجع فى ذعر ، وقد فوجئ بكتلة من الفراء تسدّ الباب ..

وبضربة قوية من ذراع (تشوباكا) ، سقط الضابط فاقد الوعى ، فى حين هبّ مساعده هلعًا ، وقبل أن تمتد يده إلى سلاحه ، اخترق شعاع سلاح (سولو) قلبه ، فسقط جثة هامدة ، وأسرع (سولو) إلى الحجرة ، وهو يرتدى زى

جندى إمبراطورى ، ولحق به (لوك) ، فى زى مماثل ، وخلفهما (كنوبى) و (أرتو) و (تريبيو) ، وتلفّت (لوك) حوله ، وهو يغلق الباب خلفهم ، قائلا :

ـ لقد صنعنا ضجة كبيرة ، ومن المؤكد أن المحطة كلها تعلم بوجودنا الآن .

قال (سولو) منتشيا بفوزه ، حتى هذه اللحظة :

ـ دعهم يأتون جميعا .. إننى أميل إلى المواجهات المباشرة .. إنه أفضل من التسلّل هكذا .

أجابه (لوك) :

ربما أنك تسعى للموت المبكّر ، أما أنا فلا ، وهذا التسلّل هو الذى حافظ على حياتنا حتى الآن .

صمت (سولو) ، وراح يتطلّع إلى (كنوبى) ، الذى جلس أمام جهاز كمبيوتر معقّد ، وراح يعمل عليه فى سرعة ، كما لو كان يعتاد هذا ، منذ نعومة أظفاره ، فى حين انشغل (أرتو) و (تريبيو) بجهاز آخر ، حتى أطلق (أرتو) صفيرًا مستمرًا عاليًا ، وقال (كنوبى) :

ـ صل (أرتو) بالكمبيوتر يا (لوك) ، فيمكنه أن يحصل على المعلومات ، من شبكة المحطة نفسها ، وقد يمكنه معرفة موضع وحدة الطاقة ، التى تدير الشعاع الجاذب .

سأله (لوك) :

ــ ولماذا لانفصل الشعاع من هنا ؟

قال (سولو) ساخرًا :

ــ حتى يعيدوه إلى العمل ، قبل أن نبتعد .. أليس كذلك ؟

تمتم (لوك) فى خجل :

ــ لم يخطر هذا ببالى .

قال (كنوبى) فى هدوء :

ــ لابد لنا من تدمير الشعاع ومصدر طاقته ، حتى يمكننا الفرار من هنا يا (لوك) .

وضع (آرتو) ذراعه داخل الكمبيوتر ، الذى نقل إليه كل مالديه ، حتى انتهى ، وأطلق (آرتو) صفيرًا ، تـرجمه (تريبيو) ، قائلًا :

ــ لقد عرف المكان ياسيِّدى ، فالشعاع الجاذب متصل بالمفاعلات الرئيسية ، فى سبعة أماكن ، و (آرتو) يحاول الآن معرفة المعلومات الهامة ، المختزنة تحت عبارة سرى للغاية .

ظهرت فجأة قراءات سريعة على الشاشة ، عجز (لوك) عن متابعتها ، فى حين استوعبها (كنوبى) حتمًا ، فقد قال :

ــ لن يمكنكم معاونتى فى هذا الأمر .. هناك مهمة لابد من قيامى بها وحدى .

قال (لوك) :

ــ أريد أن أذهب معك .

أجابه (كنوبى) :

ــ لا .. الأمر يتطلَّب مهارات لم تكتسبها بعد .. انتظر هنا ، وكن صبورًا ، وحافظ على الآليين ، فلا بد من تسليمهما إلى الثوار ، وإلا فسيكون الدمار مصير العديد من الكواكب ، كما حدث مع (ألدران) .. ثق فى القوة يا (لـوك) .. وانتظر .

وألقى نظرة أخرى على الشاشة ، ثم غادر المكان ، فأطلق (تشوباكا) زمجرة مكتومة ، وقال (سولو) :

ــ أنت محق يا (تشوى) .. هذا العجوز لايحمل سوى المتاعب .

قال (لوك) فى حدة :

ــ جنرال (كنوبى) رجل عظيم .

لوَّح (سولو) بكفه ، وقال :

ــ إنه لن يتمكَّن من إخراجنا من هنا .

سأله (لوك) فى تحد :

ــ ألديك أفكار أفضل ؟

قال (سولو) فى حدة :

— أى شىء سيكون أفضل من الانتظار هنا ، حتى يأتوا لقتلنا ؟

أطلق (آرتو) صفيرًا حادًا فجأة ، وراح يتقافز فى حدة ، فالتفت (لوك) إلى (تريبيو) ، يسأله :

— ماذا يقول ؟

أجابه (تريبيو) فى حيرة :

— لست أدرى ياسيِّدى .. أنا أيضًا لاأفهمه ، فهو يقول : لقد وجدتها .. إنها هنا .

سأله (لوك) :

— من هذه التى وجدها ؟

تحوَّل (آرتو) إلى (لوك) ، وواصل إطلاق صفيره ، فأسرع (تريبيو) يترجمه قائلًا :

— الأميرة (ليا) .. تلك الفتاة فى الرسالة الهولوجرافية المسجَّلة .

قال (سولو) :

— أية أميرة ؟ .. وأية رسالة ؟

تجاهله (لوك) ، وهو يسأل (آرتو) :

— وأين هى ؟

راح (آرتو) يُطلق صفيره ، و (تريبيو) يترجم :

— فى الدور الخامس .. مبنى المعتقل (الـ ٢٣) .. وطبقًا لهذه البيانات ، فهى محكوم عليها بالموت البطىء .

صاح (لوك) :

— لن نسمح بهذا .. لابد أن نفعل شيئًا .

قال (سولو) ، وقد ثارت ثائرته :

— أى أمر هذا ، الذى تتحدثون فيه ؟

أجابه (لوك) فى سرعة :

— إنها الأميرة ، التى وضعت رسالة داخل (آرتو) ، كان ينبغى أن توصلها إلى (ألدران) ، ولابد لنا من مساعدتها .

قال (سولو) :

— لاتندفع هكذا يا (لوك) .. لقد طلب منا (كنوبى) العجوز أن ننتظره هنا ..

وصحيح أننى أمقت الانتظار ، ولكننى لن أندفع أيضًا وراء أمر غير معقول ، فى هذه المحطة اللعينة .

هتف (لوك) :

— ولكن (كنوبى) لم يكن يعلم أنها هنا ، وأنا واثق أنه كان سيبدل خطته لو علم .. ولو أمكننا إيجاد وسيلة ، لدخول هذا المعتقل ، فقد ..

قاطعه (سولو) :

ـــ ماذا ؟ ..لن أدخل أية معتقلات ، فى هذه الخطة .

قال (لوك) فى حدة :

ـــ ولكنهم سيعدمونها ، وأنت قلت إنك تكره أن تنتظر ، حتى يأتوا لقتلك ، فلماذا تتراجع عن هذا المبدأ الآن ؟

قال (سولو) :

ـــ لم يكن بلوغ المعتقلات جزءًا من خطتى ، فوجودنا هنا قد ينتهى بنا إلى هذه المعتقلات ، فلماذا نتعجّل هذا ؟

هتف (لوك) :

ـــ إنهم سيعدمونها .

أجابه (سولو) فى حدة :

ـــ هذا أفضل من إعدامى أنا .

هزّ (لوك) رأسه ، وهو يقول :

ـــ إنك لم ترها .. إنها جميلة جدًّا .

قال (سولو) فى عناد :

ـــ وكذلك الحياة ، ولهذا لن أغامر بها .

أدرك (لوك) أن المادة وحدها هى التى تهمّ (سولو) ، فأضاف :

ـــ وهى أيضًا غنية جدًّا ، وذات نفوذ قوى ، ولو أنقذناها سننال حتمًا مكافأة ضخمة .

قال (سولو) ساخرًا :

ـــ جائزة ؟! .. ومن سيمنحنا هذه الجائزة ؟ .. حكومة (ألدران) الراحلة ؟

هتف (لوك) فى ثورة :

ـــ أنت غبى يا (سولو) ، مادام الإمبراطوريون يعتقلون (ليا) ، ويريدون إعدامها ، فهذا يعنى أنها تشكّل خطرًا عليهم ، وعلى من قام بتدمير (ألدران) ، وعلى الإمبراطورية الظالمة كلها ..أتعلم من سيدفع لك مكافأتك ، إذا ماأنقذت (ليا) ، وماتحمله من معلومات ؟ .. مجلس النبلاء ، والاتحاد ، والثوار ، وكل جهة كانت تتعامل مع (ألدران) ، فقد تكون (ليا) هى الوريثة الوحيدة ، الباقية على قيد الحياة ، من هذا النظام .

تطلّع (لوك) فى تردّد إلى (تشوباكا) ، الذى أجابه بزمجرة ، جعلته يقول :

ـــ فليكن .. سنحاول .. ماهى خطتك ؟

أسقط فى يد (لوك) ، الذى بذل أقصى جهده ؛ لإقناع (سولو) و (تشوباكا) ، دون أن تكون لديه خطة محددة ، إلا أن نظره لم يلبث أن وقع على القيود الحديدية ، فى حزام (سولو) ، فقال :

ــ أعطنى هذه القيود الحديدية ، وسأقيّد معصمى (تشوباكا) ، و ..

أطلق (تشوباكا) زمجرة قوية ، قفز لها (لوك) ، قبل أن يستجمع شجاعته مرة أخرى ، ويكمل فى حزم :

ــ سنتظاهر بأن (تشوباكا) أسيرنا ، وأننا جنديان من جنود الإمبراطورية، و ..

وكان عليهم أن يضعوا الخطة موضع التنفيذ ..

وأن يواجهوا الخطر ..

* * *

٩ ــ الوحش..

سار الجنديان المزيفان فى طرقات المحطة ، وهما يمتلئان قلقًا وتوترًا ، وراح هذان الانفعالات يتضاعفان ، كلما ازداد توغلهما فى المحطة ، خاصة وأن (تشوباكا) كان يلفت الانتباه جدًا بجسده الضخم ، المكسو بالفراء ، حتى بلغ الثلاثة مجموعة من المصاعد الآلية ، التى تتحرك بالأوامر الشفهية ، وبذل (لوك) جهدًا ؛ ليجعل صوته طبيعيًا ، وهو يصدر أوامره إلى المصعد ، الذى حملهما إلى منطقة الاعتقال فى لحظات ، بدت لهم أشبه بدهر كامل ، وهناك فوجئوا بأنهم أمام ممرات ضيقة ، لها حوائط لامعة مصقولة ، بها فتحات تهوية مركزية ، والزنزانات على جانبى الحائط ، ذات أبواب صماء ، وأدرك (لوك) أنه من الضرورى أن يتحرّكوا بسرعة ، حتى لا يلفتوا نظر حراس المكان ، ولكنه كان يجهل الاتجاه ، الذى ينبغى لهم اتخاذه ، وهمس له (سولو) :

ــ إلى أين نتجه ؟

همس (لوك) بدوره :

ــ لست أدرى .. أعتقد أننا ..

بتر عبارته بغتة ، عندما اقترب منه ضابط طويل القامة ، وسأله فى صرامة :

— إلى أين تذهبان بهذا الغول ؟

زمجر (تشوباكا) فى غضب ، فلكزه (سولو) ليسكت ، فى حين وجد (لوك) نفسه يقول فى سرعة :

— هذا السجين منقول إلى المبنى (تى إس ١٣٨) .

قال الضابط فى حيرة :

— عجبًا !!.. لم يبلغنى هذا .. سأتحرّى الأمر .

اتجه نحو جهاز الاتصال ، المثبت بالحائط ، وشعر (لوك) بالقلق ، وهو ينقل بصره بين أجهزة الإنذار ، وآلات التصوير ، والأبواب المكهربة ، والحرّاس ، ولكن (سولو) أشار إليه برأسه ، ثم خلع القيد الحديدى من يدى (تشوباكا) ..

واهتزّت جدران الممر بزمجرة (تشوباكا) ، وهو ينتزع بندقية (سولو) ، الذى تظاهر بالفزع ، وهو يهتف :

— انتبهوا .. لقد أفلت السجين .

وتراجع مع (لوك) ، وانتزع كل منهما مسدسه ، وتظاهرا باطلاق النار على (تشوباكا) ، ولكن طلقاتهما أصابت كل شىء إلا (تشوباكا) ..

آلات الإنذار والتصوير ، ومراكز التحكّم الكهربى ، وحتى الحراس الثلاثة ، الذين أصابهم الذهول ، والضابط الذى انتبه إلى الخدعة ، ولكن بعد فوات الأوان ..

والتفت (سولو) إلى لوحة معلقة على الممر ، وقال لـ (لوك) :

— ستجد أميرتك فى الزنزانة رقم (٢١٨٧) .. أسرع إليها ، وسنتولّى أنا و (تشوى) كل شىء .

أسرع (لوك) يبحث عن الزنزانة ، فى حين وقف (تشوباكا) أمام المصعد ، واتجه (سولو) إلى جهاز الاتصال ، وقال :

— كل شىء هادئ هنا .

ولكن الصوت ، الذى انبعث من الجهاز ، كان قلقًا ، وهو يسأل :

— مالذى حدث ؟.. لقد سمعنا ضجة .

أجابه (سولو) فى هدوء :

— لقد عبث أحد الجنود فى سلاحه ، فانطلق دون قصد ، ولكننا جميعًا فى خير حال .

صمت الصوت برهة ، ثم قال صاحبه فى حزم :

— سنرسل فرقة للتحرّى .

قال (سولو) :

ـــ لا تفعلوا ، فلدينا هنا تسرّب رهيب بالغاز .

هتف الصوت :

ـــ جندى أطلق سلاحه خطأ ، وبعدها تسرّب غاز ؟!.. ماذا يحدث لديك ؟.. من المتحدّث ؟

تراجع (سولو) خطوة ، وأطلق مسدسه على جهاز الاتصال ، وهو يقول :

ـــ كنت دائمًا أكره المحادثات الغبية .

ثم صاح فى (لوك) :

ـــ أسرع يا (لوك) .. سيرسلون فرقة أخرى .

ولكن (لوك) لم يسمعه ، فقد عثر على الزنزانة المنشودة وراح يطلق مسدسه على رتاجها ، حتى سقط ، وبدت أمامه (ليا) ، فهتف مبهورًا :

ـــ يا إلهى !!.. أنت أجمل كثيرًا من صورتك .

ولكنها نظرت إليه فى كبرياء ، وقالت :

ـــ ألست أقصر من أن تكون جنديًا فى صفوف الكوماندوز ؟

انتبه إلى رداء جنود الإمبراطورية الذى يرتديه ، فقال :

ـــ لست أحد الجنود .. أنا (لوك سكاى ودكر) ، وأنا

هنا لإنقاذك ، ومعى (أوبى وان) ، والآليّان .

حمل وجهها ذلك الأمل ، الذى قفز إلى قلبها ، وهى تهتف :

ـــ (أوبى وان) ؟! .. أين هو ؟ .. أين (كنوبى) ؟

أجابها (لوك) :

ـــ سأخبرك يا أميرتى .. سأخبرك بكل شىء .. ولكن الوقت لم يتسع لذلك ..

* * *

كان (دون فادر) يذرع القاعة جيئة وذهابًا ، عندما توقّف بغتة ، كما لو كان قد سمع مالم يسمعه الآخرون ، وقال فى بغض :

ـــ إنه هنا .

انزعج (تاركين) وسأله :

ـــ أتقصد (أوبى وان كنوبى) ؟! .. هذا مستحيل ! .. ما الذى يجعلك تقول هذا ؟

أجابه (فادر) :

ـــ شعور جارف يجتاحنى .. شعور لايراودنى إلا فى وجود معلّمى القديم .

قال (تاركين) فى قلق :

— ولكنه مات .. أليس كذلك ؟

صمت (فادر) لحظة ، ثم قال :

— ربّما .. لقد راودنى هذا الشعور لحظة ، ثم تلاشى .

تنهّد (تاركين) فى ارتياح وقال :

— لقد انتهى فرسان (الجيدى) ، وانطفأت شعلتهم ، منذ زمن طويل ، وأنت ياصديقى الوحيد الباقى منهم .

ارتفع فجأة صوت ، عبر جهاز الاتصال ، يقول :

— لدينا طوارئ فى مبنى المعتقل رقم (ا — ٢٣)

قفز (تاركين) من مكانه صارخًا :

— الأميرة ؟!

أما (فادر) فقال فى حزم :

— إنه (أوبى وان) .. لقد تحرّكت القوة فى داخلى .

هتف (تاركين) :

— فلنلحق به إذن .. قبل أن يهرب .

قال (فادر) :

— لن يسعى (أوبى وان) أبدًا للفرار .. إنه آخر وأعظم فرسان (الجيدى) ، و ..

صمت لحظة ، ثم أكمل فى صرامة :

— و (دون فادر) وحده ، يمكنه أن يتصدّى له ..

وكان على حق ..

* * *

كان (لوك) و (ليا) يعدوان عبر الممر ، عندما دوت أمامهم سلسلة من الانفجارات ، فقد حاول الجنود بلوغ المعتقل ، عن طريق المصعد ، ولكن (تشوباكا) راح يصرعهم واحدًا بعد الآخر ، فنسف الجنود فجوة فى الحائط ، واندفعوا منها إلى المكان ، فتراجع (سولو) و (تشوباكا) ، حتى بلغا الممر ، وقال (سولو) لـ (لوك) :

— لن يمكننا الرجوع من الطريق نفسه .

قالت الأميرة فى حدة :

— إذن فقد أغلقت أمامنا الطريق الوحيد للفرار .. إنه معتقل ، وهم لايجعلون له منافذ كافية .

قال (سولو) ساخرًا :

— معذرة ياسمو الأميرة .. أتفضلين العودة إلى زنزانتك ؟

أشاحت بوجهها دون أن تجيب ، فى حين قال (لوك) ، وهو يخرج الجهاز اللاسلكى من حزامه :

— هناك طريق آخر حتمًا .

ثم قال عبر الجهاز :

— (تريبيو) .. لقد قُطع علينا طريق العودة ، أهناك طريق آخر ؟

نقل إليه الجهاز صفير (آرتو) ، ثم صوت (تريبيو) ، وهو يقول :

ــ جميع الوحدات بالمحطة تعرف بوجودكم الآن ، ولايوجد طريق آخر .

هتف (لوك) بصوت مرتفع ، حتى يسمعه (سولو) ، وسط الضجيج :

ــ لايوجد طريق آخر .

هتفت الأميرة فى غضب :

ــ أى عبث هذا ؟ .. أتعنون أنكم قد أتيتم إلى هنا ، وأنتم تجهلون كيف يمكنكم مغادرة المكان ؟

أشار (سولو) إلى (لوك) ، وقال :

ــ سلى العقل المفكر .

اختطفت الأميرة مسدس (لوك) ، واتجهت به نحو فجوة فى الحائط ، فهتف بها (لوك) :

ــ ماذا تفعلين ؟

أجابته فى اعتداد :

ــ يبدو أننى سأتولى إنقاذكم من هنا .. إنها فتحة القمامة .

أطلقت النار على باب الفتحة الصغيرة ، وقفزت داخلها ، واختفت ، فأطلق (تشوباكا) زمجرة عنيفة ، هزّ (سولو)

رأسه بعدها ، وقال :

ــ لايا (تشوى) .. لاتقطعها إربا ، فلست واثقا بعد من مشاعرى نحوها ، ولكن هيا .. سنتبعها .

قفز (تشوباكا) داخل الفتحة ، وانحشر فيها ، فدفعه (سولو) داخلها فى قوة ، وقفز خلفه ، وتبعهما (لوك) فى النهاية ..

وتوقف الجنود أمام الفتحة ، فى انتظار الإمدادات ؛ لثقتهم فى أن القمامة ينتهى بها الأمر إلى حجرة خاصة :

ولقد بلغ أبطالنا هذه الحجرة ، التى تنبعث منها رائحة كريهة ، وقد امتلأت حتى ربعها بالقمامة ، وتحرّك (سولو) داخل الحجرة فى عصبية ، ثم وجد بابا له رتاج معدنى ، فأسرع يطلق النار على الرتاج ، الذى انكسر ، وسقطت منه كمية ضخمة من القمامة ، فقالت (ليا) فى حنق :

ــ ألق مسدسك هذا ، قبل أن تقتلنا .

أجابها فى حدة :

ــ سمعًا وطاعة ياصاحبة السمو .. لقد كنا نسيطر على الموقف تماما ، قبل أن تقودينا إلى هذا السجن العفن .

وفجأة اختفى (لوك) من بينهم ، وغاص وسط أكوام القمامة ، فصاحت الأميرة :

— إنه وحش القمامة .. لقد أمسك (لوك) .

ظهر (لوك) لحظه ، وهو يقاتل فى عنف ، وخرطوم أخضر عجيب يحيط بعنقه ، ثم لم يلبث أن جذبه مرة أخرى إلى أسفل . فصاح (سولو) :

أطلق النار يا (تشوباكا) .

زمجر (تشوباكا) فى حدة ، فتابع (سولو) :

— أنت على حق .. لست أرى ذلك الشىء .

ارتفع من حولهم فجأة صوت آلات ، واقترب حائطان متقابلان من الحجرة عدة سنتيمترات ..

ثم برز (لوك) ، وقد تخلى عنه الوحش ، فهتفت (ليا) :

— ماذا حدث ؟

حك (لوك) رقبته فى قلق ، وهو يقول :

— لقد تركنى .. ربما لم ترق له رائحتى ، عندما قارنها برائحة القمامة .

ارتفع صوت الآلات مرة أخرى ، وراحت الجدران تقترب من بعضها البعض ، فصاحت (ليا) فى فزع :

— افعلوا شيئًا .. حاولوا إيقاف هذا .

ولقد حاولوا ..

ولكنهم لم ينجحوا

حتى (تشوباكا) ، بقوته الرهيبة ، عجز عن إيقاف تقدم

الحوائط ، فأسرع (لوك) يلتقط جهاز اللاسلكى ، ويقول :

— (تريبيو) .. (تريبيو) .. أجب .

ولكن ما من مجيب ..

وبكل مرارته ، قال (سولو) :

— الشىء الوحيد المؤكد ، بالنسبة لهذا الوضع ، هو أننا سنصبح أكثر رشاقة .

ثم انتزع مسدسه ، وراح يطلق النيران على الحوائط دون جدوى ، فى حين راح (لوك) يبذل محاولاته ؛ للاتصال بـ (أرتو) و (تريبيو) ، ومساحة الحجرة تتضاءل بسرعة ، حتى غمغمت (ليا) ، فى صوت باك :

— إنها النهاية .

وفجأة ارتفع صوت (تريبيو) ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يقول :

— هل تسمعنى ياسيدى ؟ .. لقد واجهنا بعض الصعاب ولكن ..

قاطعه (لوك) فى لهفة :

— اسكت يا (تريبيو) ، واسمعنى جيدًا .. أوقفا كل حجرات القمامة فى مبنى السجن ، والطابق السفلى له .. هيا أسرعا ..

توقفت الجدران على الفور ، فهتف (لوك) :

ـ شكرًا يا (آرتو) .. شكرًا يا (تريبيو) .. لقد أنقذتما حياتنا .

ثم قرأ رقم الكوة المجاورة له ، وأضاف :

ـ والآن افتحا كوة الصيانة ، الخاصة بالوحدة رقم (٣٦٦ ـ ١١٧٨٩١) .

انفتحت الكوة فى نعومة ..

وتجدّد الأمل ..

* * *

١٠ ـ المبارزة ..

امتدت شبكة الاتصالات من خندق عميق ، يبلغ عمقه عدة كيلومترات ، إلى عنان السماء ، وراح (كنوبى) يعبر الممر المتعرّج حولها فى خفة ، حتى بلغ لوحة كبيرة ، تتشابك داخلها الأسلاك والكابلات ، وفتحها فى هدوء ، وتطلّع إلى كمبيوتر ضخم داخلها ، تبرق فيه أزرار حمراء ، وراحت أصابعه تعمل فيه بمهارة ، حتى تحوّلت بعض الأنوار من الأحمر إلى الأزرق ، فتنهّد فى ارتياح ، وابتعد فى خفة شبح ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها فرقة من الجنود ، قال قائدها ، وهو يشير إلى اللوحة الكبيرة .

ـ عليكم بحراسة هذه المنطقة ، حتى تنتهى حالة الطوارئ بالمحطة .

ولم ينتبه إلى (كنوبى) الذى يبتعد ..

والذى حقق هدفه ..

* * *

سار أبطالنا الأربعة فى ممر طويل ، بعد مغادرتهم غرفة القمامة ، حتى بلغوا نهايته ، ووجدوا أنفسهم يقفون أمام نافذة كبيرة ، أمكنهم رؤية سفينتهم تحتها مباشرة ، والجنود يتجولون فى الممر المؤدى إليها ، فأخرج (لوك) جهاز اللاسلكى ، وقال :

— هل تسمعنى يا (تريبيو) ؟

مضت لحظة مقلقة من الصمت ، قبل أن يجيب (تريبيو) :

— إننى أسمعك ياسيدى .. لقد غيرنا موضعنا ، فلقد اضطررنا لذلك ، ونحن الآن بالقرب من المرفأ الرئيسى ، أمام السفينة .

قال (لوك) فى دهشة ، وهو ينظر من النافذة :

— عجبًا !.. لايمكننى رؤيتكما .. يبدو أنكما تحتنا مباشرة .. استعدا ، فسنضمّ إليكما .. أأنتما فى أمان ؟

أجابه (تريبيو) :

— حتى الآن نعم ، ولكننى قلق على المستقبل .

ابتسم (لوك) لتلك التعبيرات البشرية ، التى يستخدمها (تريبيو) ، فى حين قال (سولو) :

— أتمنى أن يكون الرجل العجوز قد نجح ، فى إبطال ذلك

الشعاع الجاذب ، فبلوغ السفينة ، مع وجود هؤلاء الجنود ، سيبدو أشبه بالطيران ، عبر حلقة من النيران .

نقلت (ليا) نظرها من السفينة إلى وجه (سولو) ، قبل أن تقول :

— هل وصلتم إلى هنا ، فى هذه الخردة ؟

أراد (سولو) أن يجيبها بعبارة ساخطة ، لولا أن ظهرت أمامهم فجأة فرقة من الجنود ، فاستلّ (سولو) مسدسه ، برد فعل غريزى ، وأطلق النار على الجنود ، وهو يصيح بعدة لغات ..

فوجئ الجنود بهذا الهجوم المباغت ، فتراجعوا فى فوضى ، وراحوا يعدون فى الممر بلانظام ، واندفع (سولو) خلفهم ، وهو يهتف :

— ارجعوا إلى السفينة ، وسألحق بكم .

صاح به (لوك) :

— هل جننت ؟.. إلى أين تذهب ؟

ولكن (سولو) كان قد اختفى فى منحنى آخر ، فأطلق (تشوباكا) صيحة قوية ، وأسرع خلف زميله ، فوجد (لوك) نفسه وحيدًا مع (ليا) ، التى قالت :

— يبدو أننى قد ظلمت صديقك ، فما من شك فى أنه شجاع جسور .

فقال (لوك) :

— من المؤكد أنه غبى ، ولست أدرى ماذا نفعل، لو لقى مصرعه.. هيا.. سنبحث عن وسيلة للهبوط إلى حيث تقف السفينة .

فى ذلك الوقت كان (سولو) يواصل عدوه خلف الجنود ، الذين تبعثروا فى رعب شديد ، لم يكن له مايبرّره ، سوى ذلك التأثير النفسى ، الذى أحدثه فيهم (سولو) بهجومه المباغت وصراخه ، والذى مازالت تحدثه نيرانه خلفهم ..

ولكن الجميع بلغوا طريقًا مسدودًا ، اضطرهم للالتفات ، ومواجهة (سولو) ، الذى وجد نفسه بغتة أمام عشرة جنود ، وأدرك فجأة دقة موقفه ، ولكنه شعر بالدهشة ؛ لأن الجنود لم يكونوا يتطلعون إليه ، وإنما إلى (تشوباكا) ، الذى جاء من خلفه على مهل ، فى مشهد رهيب مخيف ..

وفجأة دار (سولو) على عقبيه ، وانطلق يعدو ، ولحق به (تشوباكا) ، ثم الجنود العشرة ..

وانعكست المطاردة ..

* * *

أمسك (لوك) الأميرة (ليا) فجأة ، ودفعها داخل تجويف مظلم بالممر ، فهتفت به فى غضب :

— ماذا تفعل أيها الـ ...؟

كتم كلماتها بكفه ، فى نفس اللحظة التى عبرت فيها فرقة من الجنود الممر أمامهما ، وراحت أجراس الإنذار تدقّ باستمرار ، ثم قال (لوك) :

— أملنا الوحيد هو أن نبلغ السفينة من الناحية الأخرى ، فهم يعلمون أننا هنا .

سارا فى الاتجاه العكسى ، ولكنهما فوجئا بجنديين يعترضان طريقهما ، فعادا أدراجهما عدوًا إلى حيث فرقة الجنود ، ولمحت (ليا) ممرًّا جانبيًّا ، فهتفت :

— هناك مخرج آخر .

أطلق (لوك) النار على الجنود ، الذين يطاردونهما ، ولحق بها داخل الممر ، وراحا يعدوان داخله ، حتى انتهى بهما إلى هوة عميقة ، فهتف (لوك) :

— يا إلهى !.. إنها النهاية .

أسرعت (ليا) تغلق آخر باب عبراه ، قبل أن يبلغهما الجنود، فقال (لوك) ، وهو ينظر إلى أعماق الهوة السحيقة :

— إننا نقف على نصف متر من الأرض فقط .

سمع الاثنان صوت الجنود ، وهم يبلغون الباب ، من الجانب الآخر ، فالتفت (لوك) إلى الباب فى سرعة ، وأطلق نيران مسدسه على أزرار التحكم ، ليمنع الجنود من فتح الباب ، من الجانب الآخر ، ثم انتزع من الأزرار المحطَّمة سلكًا طويلًا ، اختبر صلابته جيدًا ، ثم ألقاه بكل قوته نحو الطرف الآخر للهوة ، وراح يكرِّر محاولته عدة مرات ، حتى تعلَّق طرف السلك فى جزء بارز ، وهنا ربط (لوك) الطرف الآخر للسلك حول وسطه ، وأحاط وسط الأميرة بذراعيه ، وقفز فى الهواء ..

وللحظات ، عبر الاثنان الهوة السحيقة ، ثم سقطا على الجانب الآخر ، حيث أسرع (لوك) بحلّ السلك عن وسطه ، ثم ركض مع الأميرة عبر الجزء الآخر من الممر ، فى نفس اللحظة ، التى تهاوى فيها الباب الآخر ..

لقد ربحا مهلة جديدة ..

فقط ..

* * *

نجح (كنوبى) فى تجنب الجنود ، وهو يعبر ممرات المحطة الضخمة ، واحدًا بعد الآخر ، وتقدّم ببطء نحو المرفأ ، حيث استقرت السفينة ، ولم يعد أمامه سوى منحنيين ليبلغها ، وقد أدرك أن الآخرين قد اشتركوا فى عمل ما ، وأنهم لم يسقطوا فى أيدى الإمبراطوريين بعد ..

وفجأة غمره إحساس خاص ..

شعور عجيب ، لم يشعر بمثله منذ سنوات ..

شعور الخطر ..

وفجأة برز أمامه (دون فادر) ، وقال :

— إننى أنتظر هذه اللحظة منذ زمن طويل ، يا (أوبى وان كنوبى) .. لقد التقينا أخيرًا ، واكتملت الدائرة .. لقد شعرت بوجودك ، قبل أن أراك .

كان صوته يشفّ عن نشوته بهذا اللقاء ، فهزّ (كنوبى) رأسه ، وقال :

— مازال أمامك الكثير لتتعلّمه يا (فادر) .

قال (فادر) :

— لست أنكر أنك قد علمتنى الكثير فيما مضى ، ولكننى الآن السيِّد ..

أدرك (كنوبى) أنه لافائدة من الحديث ، وأن تلميذه مازال يفتقر إلى المنطق ، فشهر سلاحه ، الشبيه بسيف من الليزر ، وهو يتخذ وضع محارب وفارس من فرسان (الجيدى) ، وبنفس الحركة الرشيقة ، شهر (فادر) سيفه ، ثم وقف الخصمان يتطلع كل منهما إلى عينى الآخر ، وشعر (كنوبى) باضطراب فى الرؤية ، وبحبات العرق تلتصق بجبينه ، مع صوت (فادر) ، وهو يقول :

ـــ لقد أصبحت ضعيفًا عجوزًا يا (أوبى وان) ، وما كان لك أن تأتى إلى هنا .

أجابه (كنوبى) :

ـــ مازلت تجهل الكثير عن القوة يا (فادر) .

قالها وانقضّ فجأة على (فادر) ..

وبدأت المبارزة ..

* * *

نجح (سولو) و(تشوباكا) فى الفرار من الجنود بمعجزة ، واختبآ داخل ممر مظلم ، لم يكد (سولو) يقطع بضعة أمتار منه ، حتى وجد نفسه وجهًا لوجه ، أمام (لوك) والأميرة (ليا) ، فهتف :

ـــ ما الذى أخركما هكذا ؟

أجابته (ليا) ، وهى تلهث :

ـــ كنا نلعب مع بعض الرفاق .

وسأله (لوك) :

ـــ أتظن أن حالة السفينة جيّدة ، تصلح للإقلاع ؟

أجابه (سولو) :

ـــ إنها تبدو لى كذلك ، ولكن المشكلة الحقيقية هى فى بلوغها .

هتفت (ليا) فجأة :

ـــ انظروا .

نظر الجميع إلى حيث تشير ، ورأوا (فادر) و(كنوبى) يخرجان من أحد الممرات ، وهما يتبارزان بأسلوب الفرسان القدامى ، فى مشهد رائع مهيب ، جعل حرّاس السفينة يغادرون مواقعهم فى انبهار ، ويلتفون حول المتبارزين ، فقال (سولو) :

ـــ إنها فرصتنا .. هيا بنا .

والتفت (تريبيو) إلى (آرتو) ، قائلًا :

ـــ هيا .. افصل نفسك عن هذا الكمبيوتر ، فسنرحل .

اتجه الجميع إلى السفينة فى حذر ، فى نفس الوقت الذى هوى فيه (فادر) بسيفه الليزرى على رأس (كنوبى) ، مستغلاً تشتت انتباه هذا الأخير ، بقدوم الجنود ، ولكن (كنوبى) تفادى الضربة فى مهارة . فقال (فادر) :

ــ مازلت تحتفظ بمهارتك يا (كنوبى) .

راقب (كنوبى) المسافة ، التى تفصله عن الجنود ، وهو يتراجع قائلاً :

ــ لن تنتصر أبداً يا (فادر) ، فلو قتلتك أنا ستنتهى تماماً ، فى حين سأزداد أنا قوة ، لو قتلتنى أنت .. حاول أن تفكر فى كلماتى هذه .

هتف (فادر) :

ــ لم تهمنى فلسفتك أبداً أيها العجوز .

وهوى بسيفه على رأس (كنوبى) تماما ..

وانشطر رداء (كنوبى) إلى نصفين ..

ولكن (كنوبى) نفسه لم يكن داخله ..

لقد اختفى ..

تلاشى كما لو أنه لم يكن أبداً هناك ..

وتراجع الجنود فى رعب ، وهم يشاهدون الرداء الخالى يسقط أرضاً ..

أما (لوك) ، فقد أطلق صرخة هائلة ، وهو يهتف باسم (كنوبى) ، ثم راح يُطلق النار على الجنود فى ثورة ، حتى أصابت نيرانه صندوق متفجرات ، بالقرب من أحد الممرات ، فانفجر فى دوى شديد ، وتطايرت الشظايا فى كل مكان ، وتراجع (فادر) والجنود ، فاستدار (سولو) يدخل السفينة ، ولكن (لوك) حاول أن يتبع (فادر) ، فصاحت به (ليا) :

ــ لا فائدة يا (لوك) .. هيا .. لقد انتهى الأمر .

تفجرت دموع (لوك) ، وهو يهتف :

ــ لا .. مستحيل :

ولكنه سمع فجأة صوت (بن) يدوى فى أذنه ، وهو يقول :

ــ استمع إليها .

استدار فى سرعة ، ولكنه لم يجد أمامه سوى (ليا) ، تشير إليه بالعودة ، وتقول :

ــ هيا يا (لوك) .. لا وقت لدينا .

أسرع ينضمّ إلى رفاقه داخل السفينة ، وهو لا يدرى أوهم أصابه أم أنه قد سمع حقاً صوت (أوبى وان كنوبى) ..؟

وفى حنان خلعت (ليا) عباءتها ، ووضعتها على كتفيه ، وهى تقول مواسية :

— لم تكن تستطيع عمل شىء .. لقد انتهى الأمر فى سرعة .

غمغم فى مرارة :

— لست أصدق أنه رحل .. لايمكننى هذا .

لم يهتمّ (سولو) بهذا ، وإنما جلس مع (تشوباكا) أمام أجهزة القيادة ، وهو يقول :

— أرجو أن يكون ذلك العجوز قد نجح فى إبطال الشعاع الجاذب ، وإلا فستكون الرحلة قصيرة للغاية .

ضغط أزرار الانطلاق ، فاندفعت (فالكون) عبر ممر الإطلاق ، إلى الفضاء الخارجى ، وهتف (سولو) :

— لقد نجحنا .. لاشىء يعوق انطلاقنا .. لقد نجحنا .

زمجر (تشوباكا) ، وهو يشير إلى الشاشة ، فعقد (سولو) حاجبيه ، وقال :

— أنت على حق يا (تشوى) .. هناك وسيلة أخرى لإعاقتنا .

واكتسى صوته برنة عجيبة ، وهو يستطرد :

— تدميرنا .

* * *

١١ — الثوّار ..

اندفع (سولو) خارج كابينة القيادة ، وهتف فى (لوك) :

— اتبعنى يافتى ، فلم ينته المأزق بعد .

تطلّع إليه (لوك) فى شرود ، وكأنه لايراه ، ولم يتحرّك من مكانه ، فقالت (ليا) فى حدّة :

— اتركه وشأنه .. ألا تدرك حزنه على مصرع العجوز ؟

لم تكد تتم عبارتها حتى ارتجّت السفينة بانفجار قوى ، كاد يُلقى (سولو) أرضًا ، لولا أن تشبث بقائم معدنى صلب ، وهو يهتف محنقًا :

— وماذا فى هذا ؟.. لقد ضحّى العجوز بحياته ؛ ليمنحنا فرصة للنجاة .. أتحبّ أن تذهب تضحيته هباءً يا (لوك) ؟

رفع إليه (لوك) عينيه ، وقد التمعتا على نحو عجيب ، ودون أن ينطق حرفًا ألقى عباءة (ليا) أرضًا ، ولحق بـ (سولو) ، الذى ابتسم ، وأشار إلى ردهة صغير ، دلف إليه (لوك) ، فى حين دلف (سولو) إلى الردهة المقابل ..

وجد (لوك) نفسه داخل قبة شفافة ، إلى جانب السفينة ، وجلس أمام شاشة راصد ، تحوى عدة أزرار ، تتصل بالقذائف ، وفجأة رأى مقاتلة من طراز (تالى) تسرع نحوه ، ثم دارت فوقه ، واختفت ..

وبكل الإصرار أدار القبة إلى أعلى ، وأطلق نيرانه على المقاتلة ، وأصابها إصابة مباشرة ، ورأى (سولو) يفجّر مقاتلة أخرى ، فى نفس الوقت الذى تندفع فيه مقاتلتان أخريان نحو السفينة ..

واستمرّ هجوم المقاتلات على السفينة ..

واستمرّ (لوك) و(سولو) ينسفان مقاتلة تلو أخرى ، وإن لم يمنع هذا قذيفة صائبة من إصابة السفينة فى منتصفها ، إلا أن (آرتو) اتجه نحو النيران ، التى اشتعلت فى موضع الإصابة ، وأطلق من رأسه سائلًا رغويًا ، أطفأ النيران على الفور فى نفس الوقت الذى دمّر فيه (لوك) مقاتلة أخرى ، ولوّح بيده لـ (سولو) فى ظفر ، فى حين ارتفع صوت الأميرة (ليا) عبر أجهزة الاتصال الخاصة ، وهى تقول :

ــ مازالت هناك مقاتلتان ، ولقد أصابنا عطل فى ..

قاطعها (سولو) :

ــ مازالت (فالكون) صامدة :

ــ ثم استطرد ، وكأنما يتحدّث مع جدران سفينته :

ــ أتسمعين ياسفينتى ؟ لابد من الصمود .

قطع حديثه ، عندما رأى مقاتلة تظهر أمامه فجأة ، فى نفس اللحظة التى أصاب فيها (لوك) المقاتلة الأخرى ، فانفجرت ، وتحوّلت إلى غبار فسفورى ، ولم يكد قائد المقاتلة الأخيرة يرى هذا ، حتى أسرع بالفرار ، فهتفت (ليا) فى سعادة :

ــ لقد نجحنا .. لقد نجحنا ..

وردّد الفضاء صيحتها ..

* * *

دخل (فادر) إلى حجرة المراقبة ، وقال فى هدوء ، للحاكم (تاركين) ، الذى انشغل بمراقبة خريطة النجوم الهائلة :

ــ هل هربوا ؟

أجابه (تاركين) :

ــ لقد انتهوا حالًا من القفز إلى سرعة الضوء ، ولاريب أنهم يهنئون أنفسهم الآن على نجاحهم وجرأتهم .

ثم التفت إلى (فادر) ، مستطردًا :

ـــ لقد قمنا بمقامرة كبيرة ، بناءً على إصرارك يا (فادر) . أأنت واثق من أنك قد وضعت الرادار فى سفينتهم ، وأخفيته جيِّدًا ؟

ابتسم (فادر) ، وهو يقول فى ثقة :

ـــ اطمئن أيها الحاكم .. إنه يوم تاريخى ، شهد نهاية (الجيدى) ، وسيشهد نهاية الثوار والاتحاد .

وأطلق ضحكته الهائلة المخيفة ..

* * *

كان (سولو) يفحص ما أصاب السفينة ، عندما مرَّت (ليا) أمامه ، فقال مزهوًّا بنفسه :

ـــ ما رأيك يا عزيزتى ؟ لقد أنقذناك فى النهاية .

أجابته فى هدوء :

ـــ ليس إنقاذى هو المهم .. المهم أن نوصل تلك المعلومات ، التى يختزنها (آرتو) فى ذاكرته .

سألها :

ـــ وما أهمية تلك المعلومات ؟

شرد بصرها فى الفضاء اللانهائى ، وهى تجيب :

ـــ إنها التصميمات الفنية الكاملة للمحطة الحربية ، وكل ما أرجوه هو أن يؤدى فحص هذه التصميمات ، إلى كشف موطن الضعف فى المحطة ، حتى يمكننا تدميرها بالكامل ، فلابد لنا من أن نستمر .. إن الحرب لم تنته بعد .

قال (سولو) :

ـــ لقد انتهت بالنسبة لى ، فأنا لم أفعل هذا من أجل الثورة ، فلست أهتمّ سوى بالمال ، وليس بالسياسة ، فأنا أستطيع العمل مع أية حكومة ، ولم أقم بهذا من أجلك أيضًا ، بل أنتظر مكافأة كبيرة ، نظير مخاطرتى بسفينتى وبحياتى .

قالت فى حزن :

ـــ لا تقلق بشأن جائزتك .. لو أن المال هو كل ما تحب ، فستحصل على الكثير منه .

تركته واتجهت إلى حيث (لوك) ، وقالت :

ـــ صديقك هذا شخص مادى للغاية ، لست أظنه يهتم بأى شىء ، أو أى شخص .

تطلّع إليها (لوك) فى صمت ، حتى اختفت ، ثم غمغم :

ـــ ولكننى أنا أهتمّ .

ثم اتجه إلى حيث يجلس (سولو) ، وسأله :

ــ ما رأيك فيها ؟

ابتسم (سولو) ، وقال :

ــ إنها رائعة ، أتظن أنه من الممكن لأميرة مثلها ، وشخص مثلى أن ..؟

قاطعه (لوك) :

ــ لا .

ثم أشاح بوجهه بعيدًا ..

لقد شعر بالغيرة ..

الغيرة الشديدة ..

* * *

لم يكن كوكب (يافن) أبدًا بالمكان الصالح لحياة البشر ، فسطحه يكتظ بالأعاصير ، التى تبلغ سرعتها ستمائة كيلو متر فى الساعة . وتتصاعد منه غازات بركانية سامة ، جعلته مصيدة موت . لكل من يقترب منه ..

وكانت أقمار (يافن) الثلاثة فى مثل حجم الكوكب نفسه ، وأحدها فقط يصلح للحياة . وسطحه غنى بالنباتات والثروة الحيوانية ، وعلى الرغم من هذا لم يصنفه العلماء أبدًا ككوكب صالح للحياة ، ربما لأن (يافن) وأقماره تقع كلها

عند طرف المجرة ، بعيدًا عن كل الكواكب المأهولة ، وعن كل صراعات البشر ، أو بسبب الاندثار الغامض لسكانه ، الذين انتهى أمرهم ، قبل وصول أول بشر إلى كوكبهم ، وتركوا خلفهم معبدًا ضخمًا ، يشبه الهرم ، ويصعب على الناظر إليه أن يتصوَّر أنهم مجرَّد شعب بدائى ، لم ينجح أبدًا فى السفر عبر الكواكب ..

وفى سماء (يافن) ، راحت (فالكون) تدور ، ثم هبطت أمام المعبد ، الذى اختلف كثيرًا عما تركه عليه سكان (يافن) القدامى ، فقد حلّ المعدن محل الصخور ، وتم حفر أدوار متعدِّدة تحت الأرض ، يتصل ببعضها البعض ، عن طريق عدة مصاعد ..

وبعد لحظات ، دخلت الساحة السفلى من المعبد سيارة ، لم تكد تتوقَّف حتى التف حولها عدد من البشر ، خرجت إليهم (ليا) من السيارة ، فتلقفها أحدهم فى حرارة ، وهو يقول :

ــ أأنت بخير ؟ لقد ظننا أنك قد قُتلت ، عندما بلغنا أمر (ألدران) .

أسرعت تقول :

— إنه تاريخ قديم يا كوماندور (ويللارد) .. انظر إلى المستقبل فقط .. لقد انتهى (ألدران) ، وعلينا أن نمنع حدوث مثل هذا مرة أخرى .. وليس لدينا وقت للحزن ، فمن المؤكَّد أن المحطة الفضائية تتبعنا إلى هنا .

حاول (سولو) أن يعترض ، إلا أنها أسكتته بنظرة صارمة ، وهى تستطرد :

— هذا هو التفسير الوحيد ، للسهولة البالغة ، التى أمكننا بها الفرار .. لقد أرسلوا خلفنا ثمانية مقاتلات فحسب ، من طراز (تالى) ، بالرغم من أنهم كانوا يستطيعون إرسال مائة ، ومن الضرورى أن تستخدموا المعلومات ، المختزنة داخل (آرتو) الآلى هذا ، لنجد نقطة ضعف فى هذه المحطة ، ونعد خطة للهجوم ، فهذا أملنا الوحيد ، للتغلّب على هذه المحطة الهائلة .

عندئذ رأى (لوك) مشهدًا عجيبًا ، فقد التفَّ علماء الثوار حول (أرتو ديتو) وحملوه بكل رفق واحترام إلى الداخل ، وأجلسوه فى مقعد الشرف ، وراحوا يستخرجون المعلومات من ذاكرته لعدة ساعات ، ثم راحوا ينقلون كل الرسوم والجداول والتصميمات إلى كمبيوتر ضخم ، راح

يدرسها ويقيِّمها ، و(سولو) يشعر بالقلق ، وسط هذا الجو ويقف فى جانب بعيد ، متطلّعًا إلى (لوك) ، الذى انضمّ إلى مقاتلى الثوار ، برغم محاولة (سولو) لإثنائه عن هذا ..

ووقف وسط المقاتلين رجل طويل ، مهيب الطلعة ، يُدعى الجنرال (جان دودونا) ، وانتظر حتى ساد الصمت تمامًا ، ثم قال :

— أنتم تعلمون أننا نواجه لحظة حاسمة ، فالمحطة الحربية الإمبراطورية تقترب من (يافن) ، ولابد لنا من إيقافها وتدميرها ، قبل أن تفعل هى بنا هذا ، كما فعلته مع (ألدران) ، ولكن حتى الوحوش الهائلة لها نقاط ضعفها ، فلقد صُمِّمت المحطة لمواجهة هجوم شامل ، من سفن حربية كبيرة ، ولكن مقاتلة صغيرة قد تنجح فى بلوغ شاشتها الدفاعية .

نهض أحد المقاتلين يسأله :

— معذرة ياسيِّدى ، ولكن ما الذى يمكن أن تفعله مقاتلة صغيرة ، ضد محطة بهذا الحجم ؟ لست أعتقد مقاتلاتنا تصلح لهذا .

أجابه (دودونا) :

— إن الإمبراطورية لم تعتقد هذا أيضًا ، وإلا صنعت شاشاتها أكثر دقة ، فالتصميمات التى أحضرتها الأميرة

(ليا) ، تقول إنه هناك منفذ حرارى صغير ، ولكنه هام للغاية ، وغير محصّن كما ينبغى ، فهو عبارة عن ممر أسطوانى عمودى ، ينزل مباشرة إلى المفاعل الرئيسى ، الذى يمدّ المحطة بالطاقة ، ولأن مهمة هذا الممر هى تفريغ الحرارة الزائدة ، فمن المستحيل تغطيته ، ولو أمكننا إصابة فتحته الرئيسية بقذيفة مباشرة ، ستنشأ عن هذا سلسلة من الانفجارات ، تؤدى إلى تدمير المحطة بالكامل .

سرت فى القاعة همهمة شك ، فاستطرد (دودونا) :

— أعلم أن هذا لن يكون سهلًا ، فقطر الهدف مترين فحسب ، ولابد من الهبوط عموديًا ، ثم الانحراف لتسعين درجة كاملة ، وضرب المفاعل ضربة مباشرة ، فصحيح أن الممر غير محصّن بغطاء ، ولكنه مزوّد بدروع إشعاعية ، تجعل الوسيلة الوحيدة لإصابته هى طوربيد البروتون .

هبط الوجوم على وجوه الجميع ، وغمغم طيّار شاب ، يجلس إلى جوار (لوك) :

— هدف قطره متران فقط ، ونحن ننطلق بأقصى سرعة ، وبطوربيد بروتون ؟!.. إن هذا مستحيل ، حتى بالنسبة للكمبيوتر !

قال (لوك) :

— ليس مستحيلًا كما تتصوّر ، فقد كنت أصطاد الحيوانات الصغيرة ، التى يقلّ طولها كثيرًا عن المترين ، بطائرتى الصغيرة (تى — ١٦) ، فى بلدتى .

قال الطيار :

— عظيم .. وهل كان هناك العشرات يطلقون النار عليك حينذاك ؟!

ثم هزّ رأسه فى أسى ، واستطرد :

— مع وجود كل هذه الدفاعات فى المحطة ، لن يكون هذا سهلًا أبدًا .

بدا وكأن (دودونا) يؤيد حديث الطيار (أنتيل) ، وهو يقول ، مشيرًا إلى عدة نقاط مضيئة على الخريطة :

— هناك تركيز شديد لمدفعية مضادة للمقاتلات ، عند هذا الموقع ، وتذكّروا أنه لابد من ضرب الهدف ضربة مباشرة ، وسيقوم السرب الأصفر بتغطية الأحمر ، والسرب الأخضر يغطّى الأزرق فى الهجوم الثانى ..

أتوجد أية أسئلة ؟

نهض أحد المقاتلين يسأله :

— وماذا لو فشلت الضربة الأولى والثانية ؟

ابتسم (دودونا) ابتسامة مريرة ، وهو يقول :

— لن يكون هناك شيء بعدها .

هزّ المقاتل رأسه ، وقد أدرك مايعنيه هذا ، وجلس فى صمت ، فكرّر (دودونا) :

— هل من أسئلة أخرى ؟

ساد الصمت تمامًا هذه المرة ، فأكمل :

— فليعدّ كل منكم مقاتلته إذن .. ولتصحبكم السلامة .

لقد بدأت المعركة ..

نفسيًا على الأقل ..

* * *

وقف (لوك) يراقب (سولو) ، وهو ينقل عدة صناديق إلى (فالكون) ، وانفعالات شتى تتصارع فى نفسه ، فـ (سولو) مغرور متهور ، يعتدّ برأيه كثيرًا ، وهو فى الوقت ذاته شجاع للغاية ، مثقف ، مرح ، مما يجعله صديقًا رائعًا ..

وفى خفوت سأله (لوك) :

— هل حصلت على جائزتك ؟

أجابه (سولو) بإيماءة إيجاب من رأسه ، فاستطرد (لوك) :

— وهل سترحل ؟

أجابه (سولو) :

— نعم ، فلدى بعض الديون ، التى تحتاج إلى السداد ، ثم إننى لست غبيًا ، إلى الحد الذى يبقينى هنا .. لماذا لاتأتى أنت معنا ؟

قال (لوك) فى حدة :

— لماذا لاتنظر أنت حولك مرة واحدة ، وترى شيئًا غير نفسك ؟.. أنت تعلم ماسيحدث هنا ، وماسيقومون به .. إنهم يحتاجون إلى طيارين أكفاء مثلك ، ولكنك تدير لهم ظهرك .

لم يبد الاستياء على وجه (سولو) ، بل قال :

— وماجدوى الجائزة ، لو لم أكن موجودًا لأنفقها ؟.. إن مهاجمة هذه المحطة الهائلة ليس ضربًا من ضروب الشجاعة فى رأيى .. إنه انتحار .

قال (لوك) فى ضيق :

— لكن .. اهتمّ بنفسك يا (هان) ، فهذا ماتجيده .. أليس كذلك ؟

رآه (سولو) ينصرف ، فغمغم :

ــ اللعنة !

ثم التفت إلى (تشوباكا)، الذى أطلق زمجرة خافتة، وهتف به محنقًا :

ــ إننى أعرف ما أريده أيها الغوريلا .. اهتم بعملك .

وراح يواصل نقل صناديق النقود إلى سفينته ..

* * *

التقى (لوك) بالأميرة (ليا) ، عند مقاتلته الفضائية ، وسألته الأميرة ، وهى تشير إلى المقاتلة :

ــ أأنت واثق من أن هذا ما تريده ؟

أومأ (لوك) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم .. وأكثر من أى شىء آخر .

سألته :

ــ لماذا تبدو حزينًا إذن ؟

هزّ كتفيه ، وقال :

ــ إنه (هان سولو) .. لقد تصوّرت أنه سيغيّر رأيه ، وينضمّ إلينا .

رفعت رأسها فى اعتداد ، وقالت كأميرة :

ــ على المرء أن يتبع طريقه الخاص ، فالأولويات بالنسبة لـ(سولو) .. تختلف عنها بالنسبة لنا .. كنت أتمنى مثلك ألا يكون الأمر كذلك ، ولكن قلبى لا يطاوعنى على لومه .

ثم أطرقت برأسها ، واستطردت :

ــ هيا .. فلتصحبك السلامة .

تمتم فى شرود ، وكأنه يتحدّث إلى نفسه :

ــ كم كنت أتمنى لو كان (أوبى وان) هنا الآن .

شعر بيد قوية تمسك ذراعه ، وسمع صوتًا مألوفًا لأذنيه يهتف :

ــ (لوك) .. كيف جئت إلى هنا ؟.. لست أصدق نفسى !. هل ستطير معنا ؟

عانق (لوك) صديقه فى حرارة ، وهو يهتف :

ــ بالطبع سأكون معكم يا (بيجز) .

راحا يتضاحكان فى مرح ، وكأنهما قد نسيا تمامًا أمر المحطة ، فاقترب منهما مقاتل طويل ، وقال لـ(لوك) :

ــ إننى أعرفك يا فتى .. أنت (لوك سكاى ووكر) .. لقد عرفت والدك أيضًا ، ولو أنك تمتلك مهارته ، فستؤدى مهمتك على أكمل وجه .

هتف (بيجز) :

ــ نعم يا (لوك) سنفعلها معًا ..

امتلأت نفس (لوك) بالثقة ، بعد هذا الحديث القصير ، واتجه إلى مقاتلته وقلبه ينبض بالحماس ..

لقد بدأت المعركة الآن ..

فعليًا .

* * *

١٢ ـــ المعركة ..

جلست الأميرة (ليا) صامتة ، أمام شاشة مراقبة كبيرة ، يظهر عليها (يافن) وأقماره ، ووقف قادة الاتحاد خلفها ، يتابعون الشاشة بدورهم ، حتى ظهرت بقعة كبيرة حمراء ، تتجه نحو أحد أقمار (يافن) ، ووضع (دودونا) يده على كتف (ليا) ، وهو يقول فى توتر :

ـــ إنها المحطة الحربية ، وقد دخلت مجال (يافن) .

فى نفس اللحظة ، كان مقاتلو الاتحاد داخل مقاتلاتهم الصغيرة ، يحومون حول الكوكب ، عندما نقلت إليهم أجهزة الاتصال صوت قائد السرب الأزرق ، وهو يقول :

ـــ استعدوا .. الهدف يقترب .

وأمامهم ظهر جسم لامع ، يزداد لمعانه كلما اقترب من أقمار (يافن) ، وتذكر الجميع ـــ فى هذه اللحظة ـــ كل ما اقترفه الإمبراطوريون ، فى حق البشرية ، وكل الأبرياء الذين راحوا ضحايا ظلمها وفسادها ، الذى استشرى فى ظل نظامها العفن ، الذى لا يهتمّ إلا ببقائه فى السلطة ، حتى لو سام شعبه العذاب ، فى سبيل هذا ..

وانتقل صوت قائد السرب الأزرق ، وهو يحذّر أحد طياريه ، قائلا :

ـــ انتبه يا (ويدج) .. لقد جنحت إلى الخارج .. عد إلى التشكيل .

أجابه (ويدج) ، وهو يضبط وضعه ، متابعا جهاز التحكّم فى المسار :

ـــ معذرة ياسيّدى .. جهاز التحكّم الخاص بى ينحرف قليلا ، سأستعمل الجهاز اليدوى .

قال القائد :

ـــ لابأس يا (ويدج) ، والآن فليستعد الجميع للهجوم .

نقلت إليه الأجهزة أصوات الجميع ، وهم يقولون :

ـــ مستعدون .

وهنا قال القائد فى حزم :

ـــ نفّذ .

ضغط كل منهم أزرار مقاتلته ، فبرزت الأجنحة الإضافية ، وصار لكل مقاتلة أربعة أجنحة ، تمنحها قوة ضاربة ، وسهولة فى المناورة ، مع مزيد من الأسلحة ..

وظهرت المحطة الإمبراطورية واضحة ، وصار من السهل تميز سطحها ..

وظهرت المحطة الإمبراطورية واضحة ، وصار من السهل تميز سطحها ، بكل تضاريسه المعدنية ، وتلاحقت أنفاس (لوك) ، وهو يرى المحطة الرهيبة للمرة الثانية ، وسمع القائد الأزرق يقول :

ـ إننا نمرّ فى مستوى دفاعهم الخارجىّ .. انتبهوا جيّدًا .

شحذ (لوك) حواسه كلها ، وذهب عنه قلقه ، وعاودته سكينة الفضاء الخارجى ، والقائد يقول :

لقد نجحنا فى اختراق هذا المستوى .. امنعوا كل الأصوات ، حتى نصبح فوقهم تمامًا .. يبدو أنهم يستهينون بنا .

كانت المحطة تبدو أشبه بكوكب صناعى طائر ، أدهش المقاتلين ، الذين لم يروه من قبل ، فقال (أنتيل) :

ـ انظروا إلى حجم هذا الشىء .

أجابه القائد :

ـ كف عن ثرثرتك يا رقم اثنين أزرق .. والآن زيدوا من سرعتكم .

ضغط (لوك) الأزرار فوقه فى حسم ، ثم طالب الكمبيوتر بتحديد الهدف ، فى حين تحدّث القائد الأزرق إلى الأحمر ، عبر أجهزة الاتصال ، قائلًا :

— إننا نتخذ أماكننا الآن .. يمكنك التقدم .. الهدف ناحية اليسار ، وسنعمل على شغلهم من جانبنا .

أجابه القائد الأحمر :

— نحن فى طريقنا إلى الهدف يا (دتشى) .. استعدوا للحلول محلنا ، لو أصابنا مكروه .

قال القائد الأزرق :

— سنعبر محورهم الأوسط ؛ لنجذب نيران مدفعيتهم إلينا .. انطلقوا تصحبكم السلامة .

انطلقت أجهزة الإنذار داخل المحطة ، التى انتبهت أخيرا إلى هجوم عشرات السفن الصغيرة ، فلم يكن الأدميرال (موتى) وقادته يتوقعون هجوما انتحاريًا كهذا ، إلا أنهم أسرعوا يوجهون أسلحتهم الدفاعية نحو المقاتلات الصغيرة .

وهبط (لوك) بطائرته رأسيًا ، وهو يقول :

— هنا رقم خمسة أزرق .. أنا فى طريقى إليهم .

سمع صوت (بيجز) يقول :

— وأنا خلفك يا رقم خمسة .

انطلق (لوك) نحو سطح المحطة فى ثبات ، وأطلق قذائفه ، ورأى جزءا من السطح ينفجر ، وتشبّ فيه نيران كبيرة ،

وحاول الارتفاع بمقاتلته مرة أخرى ، إلا أنه شعر هذه المرة بالفزع ، عندما وجد أنه سيضطر للمرور أمام سلاح يجهل كنهه . وسمع (بيجز) يصرخ :

— ارتفع يا (لوك) أسرع ..

ولكنه رأى قنبلة من الغازات الملتهبة تندفع نحوه ، فزاد من سرعة مقاتلته ، واخترقها كالبرق ، وهدأت أعصابه كثيرًا ، عندما فحص أجهزته ، ووجد أن المقاتلة لم تصب بأضرار جدية ، بالرغم من أن أجنحتها صارت سوداء داكنة ، وتتابعت الانفجارات من حوله ، وهو يدور فى قوس واسع ، و(بيجز) يسأله :

— كيف حالك ؟

أجابه فى مرح :

— لقد تغير لونى بعض الشىء ، ولكننى فى خير حال .

أتاه صوت القائد الأزرق ، وهو يقول فى صرامة :

— كن أكثر حذرا يا رقم خمسة أزرق .. ليس من الجيِّد أن نفقد مقاتلا عنا ، فى مثل هذه الظروف .

قال (لوك) :

— سمعا وطاعة يا سيِّدى .

ولكنه عاد يهاجم ..
لقد ذاق طعم القتال ..
وأحبّه ..

* * *

تنقّل (فادر) بين الحطام والفوضى داخل المحطة فى حنق ، واندفع إليه أحد القادة ، وهو يقول فى توتر :

ـ إنهم أكثر من ثلاثين مقاتلة يا (دون فادر) ، وهم من الصغر والسرعة ، بحيث تعجز مدافعنا الثابتة عن ملاحقتهم بدقة .

قال (فادر) فى غضب :

ـ فليخرج جميع ملاحينا خلفهم .. أريد تدميرهم عن آخرهم .

ارتفعت أصوات أجهزة التنبيه داخل المحطة ، وأسرع الملاحون إلى مقاتلاتهم ، فى نفس اللحظة ، التى كان القائد الأزرق يقول فيها لـ (لوك) :

ـ هناك قذائف عديدة ، تنطلق من ذلك البرج المجاور لك يا (لوك) .

هبط (لوك) بمقاتلته ، وهو يقول :

ـ سأنهى أمره على الفور .

ذكّره هذا بانقضاضه على فرائسه وصيدها ، وهو يصيب البرج ، وينسفه نسفًا ..

وفى نفس الوقت كان قادة الاتحاد يراقبون شاشتهم ، وقد شملهم القلق والتوتر تمامًا ، وانحنى أحدهم على جهاز اتصال كبير ، وهو يقول :

ـ فلتنتبه جميع المقاتلات .. لقد أطلق العدو مقاتلاته نحوكم .

تطلّع (لوك) إلى شاشته فى حيرة ، وهو يقول :

ـ لست أرى شيئًا .

قال له قائده الأزرق :

ـ ابحث عنهم ببصرك ، وتذكّر أنهم يستطيعون التشويش على كل أجهزتك ، فيما عدا عينيك .

أدار (لوك) عينيه حوله هذه المرة ، ورأى واحدة من المقاتلات الإمبراطورية تنقض على مقاتلة اتحادية ، تعرّفها على الفور ، فهتف :

ـ احترس يا (بيجز) .. أحدهم خلفك .

ارتفع (بيجز) بمقاتلته ، وهو يقول فى توتر :

— لست أراه .. هل تراه أنت ؟

لم يجب (لوك) ، وإنما انطلق بمقاتلته خلف المقاتل الإمبراطورى ، الذى استعد لإطلاق قذيفته على مقاتلة (بيجز) ، عندما نسفته قذيفة (لوك) نسفًا ، وهتف هذا الأخير :

— لقد أصبته .

فى نفس اللحظة ارتفع صوت مقاتل اتحادى آخر ، يهتف :

— لقد نسفت أحدهم .

فوجئ بقائده يقول :

— حسنًا فعلت يا رقم ستة أزرق ، ولكن احترس ، هناك آخر خلفك .

قبل أن يلتفت رقم ستة إلى خصمه الجديد ، كان هذا الخصم قد أصابه بقذيفة ، سحقته سحقًا ..

وفى قمر الثوار ، انقطعت الطاقة فجأة عن شاشة المراقبة ، فساد الهرج لحظة ، وهتفت (ليا) :

— أديروا الأجهزة السمعية فقط .. سنكتفى بهذا ، حتى يتمّ إصلاح العطب ..

وامتلأ المكان بضجيج المعركة ، وصوت القائد الأزرق ، وهو يقول :

— احترس يا رقم اثنين .. أمامك برجان مرتفعان

أجابه (أنتيل) :

— إنها نيران كثيفة للغاية ياسيِّدى .

وقال (بيجز) :

— لم أر مثل هذه المدفعية فى حياتى كلها .

عاد القائد الأزرق يقول :

— ارتفع يا (لوك) .. هل تسمعنى ؟

أجابه (لوك) :

— هناك هدف ، أحاول التحقّق منه ياسيِّدى .

هبط (لوك) بجرأة مدهشة وسط النيران ، متجاهلًا المدافع المضادة ، وانقضّ على برج استراتيجى ، وكلّل إصراره هذا بقذيفة نسفت البرج ، وأطاحت به تمامًا ، وصاح فى ظفر :

— لقد أصبته ، وسأتجه إلى الهف التالى ..

وفى قمر الاتحادين ، سألت (ليا) (تريبيو) فى توتر :

— لماذا يخاطر (لوك) هكذا ؟

نقلت إليها الأجهزة السمعية صوت (بيجز) ، وهو يقول :

— راقب ذيل مقاتلتك يا (لوك) .. هناك مقاتلات تتجه إليك .

ارتفع (لوك) متخليًا عن هدفه ، ولكن المقاتلة الإمبراطورية واصلت مطاردته ، حتى انقضّ عليها (ويدج) ، وأمطرها بقذائفه ، ونسفها ، فقال (بيجز) :

ــ إصابة جيّدة يا (ويدج) .. سأهاجم ذلك البرج هناك .. احم ظهرى يا رقم أربعة .

قالها وانقضّ على البرج ، ونسفه بقذيفة واحدة ، ولكن أحد مدافع المحطة نسف رقم أربعة فى الوقت نفسه ..

وفى هذه اللحظة ، كان قائد السرب الأحمر قد بلغ قطب المحطة مع سربه ، وكان الهدوء يسود تلك البقعة ، بسبب المعارك الجانبية ، التى جذب بها السربان الأزرق والأخضر انتباه مقاتلات الإمبراطورية ، فهبطت مقاتلات السرب الأحمر على نحو عمودى ، ثم تحوّلت إلى الوضع الأفقى بزاوية حادة للغاية ، وانطلقت عبر الممر الصناعى ، والقائد الأحمر يقول :

هاهوذا الهدف يافتيان .. انطلقوا نحوه ، ولاتهتموا بغيره .

انتبه الإمبراطوريون إلى هذا الهجوم ، فراحوا يمطرون مقاتلات السرب الأحمر بالقذائف ، ولكن قائده قال فى حسم :

ــ انخفضوا أكثر يافتيان ، واستعملوا الكمبيوتر لتحديد الهدف .

أجابه رقم اثنين أحمر :

ــ سنفعل أيها القائد .

انقطع سيل القذائف فجأة ، فقال القائد فى قلق :

ــ لماذا أوقفوا القتال ؟.. أهى خدعة أخرى ؟

أجابه رقم اثنين :

ــ ربّما ، أو أنها ..

لم يتمّ عبارته ؛ لأن قذيفة أصابت مقاتلته من أعلى ، وأطاحت به وبها ، وهنا انتبه قائد السرب الأحمر ، إلى مقاتلات الامبراطورية ، التى تنطلق فوق الممر ، واهتزت أعصابه ، بالرغم من خبرته القتالية الطويلة ، وهو يهتف :

ــ لقد أوقعونا فى مصيدة .. الممر ضيق ، ولامجال للمناورة .

هتف به أحد جنوده :

ــ لن نتخلّى عن الهدف أبدًا .

ولكن قذيفة أخرى أخرسته إلى الأبد ..

وداخل مقاتلة إمبراطورية ، ابتسم (فادر) فى سخرية ..

لقد انتبه إلى خطة الاتحاديين ..

وخرج لإفسادها ..

وبقذيفة أخرى أطاح بمركبة القائد الأحمر ، الذى رأى النار تشتعل فى مقاتلته ، فغمغم فى يأس :

لا فائدة .

وبعدها انفجرت مقاتلته ، وتحوّلت إلى شظايا صغيرة ..

وارتفع المقاتل (بوبس) فى منحنى صغير ، وحاول الفرار ، ولكن قذيفة من قذائف (دون فادر) أصابته ، وهو يرسل رسالته اللاسلكية ، قائلًا :

ــ هنا رقم خمسة أحمر .. إنهم يهاجموننا من أعلى .

أصابت القذيفة ذيل مقاتلته ، فى اللحظة نفسها ، وراحت المقاتلة تهوى ، والقائد الأزرق يخاطبها هاتفًا :

ــ أأنت بخير ، يارقم خمسة أحمر ؟

أجابه (بوبس) فى مرارة :

ــ لقد خسرنا الجميع .. (تيرى) و(دتش) .. كلهم .. هؤلاء الأوغاد يأتون من الخلف ، ولا مجال للمراوغة والمناورة فى الممر .. إنه دوركم الآن .. الوداع يا (ديف) .

وانفجرت مقاتلته ..

وهنا هتف القائد الأزرق :

ــ إنه دورنا يافتيان .

استعد الجميع للانطلاق نحو الهدف ، ولكن أجهزة (لوك) أعلنته بوجود مقاتلة إمبراطورية خلفه حاول أن يناورها بكل مهارته ، إلا أنها ظلت ممسكة بذيل مقاتلته ، إلى أن سمع صوت (بيجز) يقول :

ــ لا تقلق ياصديقى ، أنا فى طريقى إليك .

وفجأة مرق (بيجز) أمامه ، وباغت المقاتل الإمبراطورى بقذيفة علوية ، سحقته سحقًا ، فهتف به (لوك) :

ــ مناورة بارعة وجديدة ياصديقى .

وتبادلا إشارة النصر .

وفى قاعدة الثوار ، انتهى (دودونا) من بحث الأمر ، مع باقى القادة ، ثم اتصل بالقائد الأزرق ، قائلًا :

ــ هنا القاعدة الرئيسية ، تنادى القائد الأزرق .. اقسم رجالك إلى نصفين ، واتخذ جناحين لك فى أثناء الهجوم ، وليستعد النصف الآخر للهجوم ، لو فشلت أنت .

اتخذ القائد الأزرق لنفسه جناحين ، وترك (لوك) و(ويدج) و(بيجز) كخط هجوم ثان ..

وهبط القائد الأزرق إلى الممر ، وراح ينطلق عبره بسرعة ، وهتف بجناحيه :

— كمية الحطام هنا هائلة ، وأخشى أن أكون قد أخطأت الممر ، فلا توجد أية وسائل دفاعية .

أجابه رقم عشرة ، المصاحب له :

— هذا غير مطمئن أبدًا .

وفجأة ظهرت مقاتلة (دون فادر) ، وانقضت على رقم اثنى عشر ، ونسفته ، فهتف رقم عشرة :

— أطلق قذائفك على الهدف أيها القائد .. بسرعة .

رأى القائد الهدف أمامه ، فضغط زر إطلاق طوربيداته ، وهو يقول فى حسم :

— سأفعل .

ارتفع مع رقم عشرة ، فى اللحظة التى دوت فيها الانفجارات داخل الممر ، وهتف رقم عشرة فى فرحة هسترية :

— لقد أصبنا الهدف .. لقد دمرناه .

سمع صوت قائده يقول فى أسف :

— لا.. لم ننجح .. لقد أصبنا السطح الخارجى للبشر فحسب .

لم يحمل القدر لرقم عشرة خيبة الأمل فحسب ، وإنما رافقها بقذيفة أطلقها عليه (فادر) ، وطحنه بها طحنًا ..

وبكل مرارته ويأسه ، هتف القائد الأزرق :

— دورك يارقم خمسة أزرق .. ابدأ هجومك ، ولا تهبط حتى تصبح فوق الهدف تمامًا ، فلن يكون ذلك هينًا ، ولن ..

رأى (لوك) وهجًا شديدًا أمامه ، مع انقطاع صوت قائده ، فهبط ليبدأ هجومه بالفعل ، وهو يقول ، وقد أدرك مدى صعوبة الموقف :

— لقد فقدنا القائد .

ولكن هذا لم يوقفه ..

* * *

نهضت (ليا) من مقعدها فى عصبية ، وسألت (دودونا) فى توتر بالغ :

— ألا بد لهم من الاستمرار ؟

أجابها فى خفوت :

— لا يوجد بديل .

قالت فى قلق :

— ولكن من يجمعهم ويقودهم ؟ لقد خسرنا القائدين الأحمر والأزرق .

لم يجبها أحد ، فلاذت بدورها بالصمت ..

الصمت الرهيب .

* * *

انطلقت قذائف المحطة من كل مكان ، محاولة اقتناص المقاتلات الاتحادية الثلاث ، فقال (بيجز) متهكمًا :

— يبدو أننا نضايقهم كثيرًا .

أما (ويدج) ، فقال :

— البرج يظهر على شاشتى فى وضوح ، أهو صغير إلى هذا الحد ؟

لم يجب (لوك) ، فقد كان يتفادى القذائف فى مهارة ، ثم حدد هدفه بوساطة الكمبيوتر ، وأطلق الطوربيد ..

ودوى الانفجار ، ولكنه لم يصب الهدف ، فى حين ظهرت ثلاث مقاتلات إمبراطورية فوق أبطالنا ، فصاح (لوك) :

— (بيجز) .. (ويدج) .. تفرّقا .

تفرقت المقاتلات الثلاث ، إلا أن مقاتلات الإمبراطورية توجهت كلها نحو مقاتلة (لوك) ، وراحت تطاردها فى إصرار ، و(لوك) يتفادى قذائف (فادر) فى مهارة ، جعلت هذا الأخير يقول فى حنق :

— يبدو أن القوة تحمى هذا الفتى بشدة .. ولكن هيهات .. سأقضى عليه بنفسى .

ولكن (لوك) هبط فى الممر مرة أخرى ، وانطلق داخله هاتفًا :

— (بيجز) .. (ويدج) .. أين أنتما ؟

رأى مقاتلة (ويدج) تهبط إليه ، فشعر بالقلق ، وهو يقول :

— ولكن أين (بيجز) ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع صوت هذا الأخير يقول :

— هنا يا صديقى .

ومرقت مقاتلة (بيجز) فوقه ، وهذا الأخير يلوّح بكفه .. والعجيب أن مقاتلة (فادر) لم تكن هناك ..

لقد اختفت ..

اختفت تمامًا ..

* * *

اندفع أحد ضباط الإمبراطورية إلى قاعة (تاركين) ، الذى وقف يراقب الشاشة الهائلة ، وهتف به فى جزع :

— سيّدى .. لقد أدركنا هدف هذه المقاتلات الصغيرة .. إنه يشكّل خطرًا بالغًا على المحطة ، هل ننسحب ، أم نبدأ إجراءات إخلاء المحطة ؟

صاح فيه (تاركين) فى غضب :

إخلاء ماذا ؟.. كيف تتحدّث كالمهزوم ، ونحن على شفا نصر ساحق أيها الضابط ..؟ إننا سنسحق آخر معاقل الثوار سحقًا .. اغرب عن وجهى .

غادر الضابط الحجرة ، وقد أدرك حقيقة واحدة ..
لقد أصيب الحاكم بالجنون ..

* * *

هبط (لوك) ورفيقاه مرة أخرى إلى النفق ، وانطلقوا عبره ، و(لوك) يضغط أزرار الكمبيوتر ، المسئول عن تحديد الهدف ..

وبدا الهدف بعيدًا ..

ولكن فجأة راحت المقاتلة تهتز على نحو غير طبيعى ، فهتف (لوك) :

ــ أسرع يا (آرتو) .. هناك تخلخل بالغ الخطورة .

برز (آرتو) من ركن خفى بالمقاتلة ، وراح يصلح هذا التخلخل فى سرعة ، فى حين هتف (بيجز) :

ــ إنهم يهاجموننا مرة ثانية يا (لوك) .. أسرع يا صديقى .

واصل (لوك) انطلاقه نحو الهدف ، وبرزت مقاتلة (فادر) فى الأفق ، مع مقاتلتين إمبراطوريتين أخريين ، وصاح (بيجز) :

ــ أسرع يا (لوك) .. أسرع .

ولكن (فادر) صوّب قذيفته بدقة مذهلة ، وأطلقها فى هدوء رهيب ..

وانفجرت مقاتلة (بيجز) ..

انفجرت متحولة إلى ملايين الشظايا الدقيقة ..

وصرخ (ويدج) :

ــ لقد فقدنا (بيجز) .

لم يجب (لوك) ..

فقط اغرورقت عيناه بالدموع ..

ولكنه واصل طريقه ..

كان هدفه أسمى من أن توقفه الأحزان ..

كان مصير مجرة كاملة ..

مصير جنس بشرى هائل ..

ومن مقاتلته ، قال (فادر) للمقاتلتين الأخريين :

ــ سأنطلق خلف القائد ، وعليكما بالثانى .

انبعثت شرارة أمام (ويدج) فى لوحة القيادة ، فقال فى مرارة :

ــ لقد أصابنى عطل يا (لوك) .

هتف به (لوك) :

ــ ابتعد يا صديقى .. أسرع .

ارتفع (ويدج) بمقاتلته ، وانطلق مبتعدًا ، وهو يغمغم :

ــ آسف يا (لوك) .. آسف .

وهنا انطلقت المقاتلات الإمبراطورية الثلاث خلف مقاتلة

(لوك) ، وحدّد أحد المقاتلين المصاحبين لـ (فادر) هدفه ، على شاشة جهازه ، وقال فى سخرية :

ــ الوداع أيها الاتحادى الأخير .

ولكن فجأة نسفت قذيفة مقاتلته ، وحوّلتها إلى فتات ..

وأصيب المقاتل الآخر بالذعر ، وراح يتلفّت حوله ، بحثا عن ذلك الذى أصاب رفيقه ، ثم لم يلبث أن شعر برعب هائل ، عندما رأى خصمه ..

لم يكن مقاتلة عادية ، وإنما سفينة ضخمة ، من سفن الشحن ..

سفينة تحمل اسم (فالكون) ..

وابتعد المقاتل الإمبراطورى فى هلع ، خشية أن ترتطم به سفينة الشحن ، ولكن ابتعاده المفاجئ هذا جعل مقاتلته ترتطم بمقاتلة (فادر) ، ثم تصطدم بجدار الممر ، وتنفجر ..

أما مركبة (فادر) ، فقد فقد هذا الأخير سيطرته على أجهزتها ، بعد الارتطام ، فراحت تدور حول نفسها ، وتغيب فى أعماق الفضاء ..

ومن فوق (لوك) ، ارتفع صوت (سولو) يقول :

ــ هيا ياصديقى .. لقد أصبح طريقك خاليا .. أطلق قذيفتك ، ولنرحل من هنا .

لم تكن لدى (لوك) سوى قذيفة واحدة باقية ، وكان يعلم

أنها الفرصة الأخيرة ، وعندما مدّ يده إلى جهاز الكمبيوتر ، سمع من خلفه صوتا يقول :

ــ ثق فى إحساسك يا (لوك) .

انتفض وهو يتلفّت خلفه ..

كان هذا صوت (أوبى وان كنوبى) ..

ولكن المقاتلة كانت خالية ، إلا من (لوك) و(آرتو) ..

وبالرغم من غرابة الأمر ، إلا أن (لوك) أطاع ، فأغلق الكمبيوتر ، وأغمض عينيه ، و......

وأطلق قذيفته ..

وخيّل إليه أنه يخرج من حلم عجيب ، عندما فتح عينيه ، ووجد مقاتلته تنطلق بأقصى سرعتها ، عائدة إلى (يافن) ..

وقبل أن يتساءل عمّا حدث ، جاءته النتيجة فى وضوح من خلفه ..

لقد انفجرت المحطة ، كشمس صغيرة تشتعل ..

وانتهت المعركة ..

بالنصر ..

* * *

١٣ ـ الختام ..

استقبل الثوار العائدين فى سعادة غامرة ، واستقبلوا (لوك) استقبال الأبطال ، فى حين وقف (تريبيو) يشرف على إخراج (آرتو) من مقاتلة (لوك) ، وهو يهتف :

ـ (آرتو) ياصديقى .. تحدّث إلىّ .. قل أى شىء .. هل تسمعنى ؟

ثم التفت إلى اثنين من الفنيين ، وسألهما :

ـ أيمكنكما إصلاحه ؟

تطلّع أحدهما إلى (آرتو) ، وقال :

ـ أظن ذلك .

تبعهما (تريبيو) ، وهما يحملان (آرتو) إلى ورشة الإصلاح ، وهو يقول فى شفقة :

ـ إننى مستعد لمنحه أى جزء يحتاج إليه ، من دوائرى وأجهزتى ، عن طيب خاطر .

أما فى الخارج ، فقد التفّ الجميع حول (لوك) و(سولو)

و(تشوباكا) ، يهنئونهم على الفوز ، وقال (لوك) لـ (سولو) فى مرح :

ـ كنت أعلم أنك ستعود .. كنت واثقًا من هذا ، ولو لم تفعل لكنت أنا الآن فى عداد الأموات .

قال (سولو) مبتسمًا :

ـ كان من الضرورى أن أعود ، فلم أكن لأترك طيارًا من المزارع ينال كل الثناء وحده .

ضحك الجميع ، واندفعت (ليا) إلى حيث (لوك) و(سولو) ، وراحت تهنئهما فى حرارة ، فى حين شرد (لوك) ببصره ، وقد خيل إليه أنه يسمع تنهدة ارتياح مألوفة ..

تنهدة (أوبى وان كنوبى) ..

* * *

امتلأت قاعة العرش ، داخل المعبد القديم ، بالبشر ، لأوّل مرة منذ آلاف السنين ، ووقف الجميع فى أزيائهم الرسمية الزاهية ، وارتفعت أعلام الكواكب المختلفة ، التى كوّنت فيما بينها اتحاد الثوّار ، وفى نهاية القاعة جلست (ليا) على العرش ، فى ثوب أبيض هفهاف ، ووقف أمامها (لوك) والجنرال (دودونا) ، مع (سولو) و(تشوباكا) ، ثم انضمّ إليهم (آرتو) ، الذى بدا نظيفًا لامعًا ، و(تريبيو) الذى شعر

بالرهبة والسرور معا ، ثم وقفت (ليا) ، وتقدمت من (سولو) ، وأحاطت عنقه بقلادة ذهبية كبيرة ، ووقفت على أطراف أصابع قدميها ، لتحيط عنق (تشوباكا) بأخرى ، ووضعت ثالثة حول عنق (لوك) ، وعندئذ تفجّرت عواطف الجميع فى صيحة رائعة ، حملت كل حبهم وتقديرهم للأبطال الثلاثة ..

أما (لوك) ، فقد شعر أنه وحده الفائز ، فبالرغم من أنه قد حصل على قلادة مشابهة لما حصل عليه (سولو) و(تشوباكا) ، إلا أنه نال وحده جائزة أعظم ..

إنها ابتسامة عذبة فاتنة ..

ابتسامة الأميرة (ليا) ، التى اعتبرها جائزته الكبرى فى هذه الحرب ..

حرب النجوم ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٢٥٥٧
٩٧٧ـ١٦٣ـ٣٩٤ـ٥

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

حرب النجوم

حرب طاحنة ، تدور فى زمن آخر ، ومجرة أخرى ، بين الإمبراطورية الغاشمة ، والثوار ، وفيها يلتقى (لوك) بالأميرة (ليا) ، ويعبران الفضاء كله من أجل الحرب .. حرب النجوم .

٤

العدد القادم : الفلك المفترس

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ ش كامل صدقى بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥